فِـقهُ اللّـُغة

د. سالم سليمان الخمّاش

لمتابعة الزيادات والتنقيحات والاطلاع على الدرجات تفضل بزيارة
موقع لسان العرب
http://www.angelfire.com/tx4/lisan/khamash.htm
أو
http://www.khamash.cjb.net

مفهوم فقه اللغة عند الأوائل

إن أول من استخدم اصطلاح فقه اللغة كان ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في عنوان كتابه (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها). ثم نصادف هذا الاصطلاح بعد ذلك في عنوان كتاب الثعالبي: (فقه اللغة وأسرار العربية)). ولكننا نجد مفهوم فقه اللغة مختلفا عند الرجلين.

مفهوم فقه اللغة عند ابن فارس

يتبين المطلع على كتاب ابن فارس (الصاحبي في فقه اللغة) أنه ينظر إلى هذا النوع من التأليف على أنه دراسة القوانين العامة التي تنتظم اللغة في جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية.

مفهوم فقه اللغة عند الثعالبي:

الثعالبي يرى أنّ فقه اللغة علم خاص بفقه وفهم المفردات، وتمييز مجالاتها واستعمالاتها الخاصة والاهتمام بالفروق الدقيقة بين معانيها. وقد ترجم هذه الفكرة عنه بشكل واضح ابن خلدون في مقدمته حيث قال: "ثم لما كانت العرب تضع الشيء لمعنى على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة بها فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الناس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب ومن الإنسان بالأزهر ومن الغنم بالأملح حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها لحناً وخروجاً عن لسان العرب. واختص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبي وأفرده في كتاب له سماه (فقه اللغة).

سبب اختلاف المفهومين

ويبدو لنا أن هذا الاختلاف قد نتج عن اختلاف استعمال كلمة (لغة). فابن فارس استعملها بمعناها العام المطلق أي تلك الوسيلة المتعددة المستويات التي يستعملها الناس في التفاهم فيما بينهم. لذا جاء مفهوم فقه اللغة عنده واسعا وشاملا لجميع مستويات اللغة.

أما الثعالبي فقد استخدم كلمة (لغة) في معناها الخاص، الذي يقابل كلمة نحو، وهو معرفة المفردات ومعانيها. لذا نرى فقه اللغة عنده هو فقه للمفردات لا التراكيب والأساليب.

قال ابن فارس في مقدمة كتابه الصاحبي:

"إن لعلم العرب أصلاً وفرعاً: أمَّا الفرعُ فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا: "رجل" و "فرس" و "طويل" و "قصير". وهذا هو الَّذي يُبدأ بِهِ عند التعلُّم. وأمَّا الأصلُ فالقولُ عَلَى موضوع اللغة وأوَّليتها ومنشئها، ثُمَّ عَلَى رسوم العرب فِي مخاطبتها، وَمَا لَهَا من الافْتنان تحقيقاً ومجازاً. والنّاسُ فِي ذَلِكَ رجلان: رجلٌ شُغل بالفرع فلا يَعْرِف غيرَه، وآخَرُ جَمع الأمريْنِ معاً، وهذه هي الرُّتبة العليا، لأن بِهَا يُعلم خطابُ القرآن والسُّنة، وعليها يُعول أهلُ النَّظر والفُتيا، وذلك أن طالبَ العلم العُلويُ يكتفي من سماء "الطويل" باسم الطويل، ولا يَضيرُه أن لا يعرف "الأشَقَّ" و "الأَمقَّ" وإن كَانَ فِي علم ذَلِكَ زيادةُ فَضل. وإنَّما لَمْ يَضِره خفاءُ ذَلِكَ عَلَيْهِ لأنَّه لا يَكاد يجدُ منه فِي كتاب الله جل ثناؤه فيُحْوَج إِلَى علمه."

كتب فقه اللغة عند العرب

كتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس

موضوعات فقة اللغة في كتاب الصاحبي في فقه اللغة

كتاب القرن الرابع لم يعرفوا تقسيم الموضوعات تقسيماً منهجياً دقيقاً، بل كان يغلب عليهم الاستطراد وعدم المنهجية، لذلك نجد في الكتاب عدداً من الموضوعات عن اللغة وطبيعتها، ثم إن هناك مسائل عن أصوات اللغة وعددا من الأبواب عن الصرف وعن البلاغة ومسائل في الدلالة، وموضوعات في الأسلوب، والاختلاف حول نشأة اللغة. ومن الموضوعات المهمة في فقه اللغة التي نصادفها في كتاب (الصاحبي) ما يلي:

(أ) (باب القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح)

وفيه يحتج ابن فارس لنظرية التوقيف التي تقول إن اللغة توقيف وتعليم من الله عز وجل مستدلا بدليل (١) نصي من القرآن هو قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) و (٢) بدليل عقلي هو قوله إن إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ، ثم احتجاجهم بأشعارهم، يدل أنه لو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج بنا على لغة عصرنا، و (٣) بدليل اجتماعي وهو زعمه "أنه لم يبلغنا أن قوما من العرب في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه."

(ب) اختلاف لغات العرب. في هذا الباب أورد ابن فارس وجوه الاختلاف بين اللهجات العربية القديمة ومما ذكره من أصناف هذه الاختلافات:

(١) الاختلاف فِي الحركات كقولنا: "نَستعين" و"نِستعين" بفتح النون وكسرها. قال الفرَّاء: هي مفتوحة فِي لغة قريش، وأسدٌ وغيرهم يقولونها بكسر النون.

(٢) الاختلاف فِي الحركة والسكون مثل قولهم: "معَكم" و "معْكم" أنشد الفرّاء:

(٣) الاختلاف فِي إبدال الحروف نحو: "أولئك" و"أُولالِكَ". ومنها قولهم: "أنّ زيداً" و "عَنّ زيداً".

(٤) الاختلاف فِي الهمز والتليين نحو "مستهزئون" و"مستهزُوْن".

(٥) الاختلاف فِي التقديم والتأخير نحو "صاعقة" و"صاقعة".

(٦) الاختلاف فِي الحذف والإثبات نحو "استحيَيْت" و"استحْيت" و"صدَدْت" و"أَصْدَدْت".

(٧) الاختلاف فِي التذكير والتأنيث فإن من العرب من يقول "هَذِهِ البقر" ومنهم من يقول "هَذَا البقر" و "هَذَه النخيل" و "هَذَا النخيل".

(٨) الاختلاف فِي الإعراب نحو "مَا زيدٌ قائماً" و "مَا زيدٌ قائم" و "إنّ هذين" و "إنّ هذان" وهي بالألف لغة لبني الحارث بن كعب يقولون لكلّ ياء ساكنة انفتح مَا قبلها ذَلِكَ.

(٩) الاختلاف فِي صورة الجمع نحو: "أسرى" و "أُسارى".

(جـــ) باب (القول فِي اللغة الَّتِي بِهَا نزل القرآن، وأنه لَيْسَ فِي كتاب الله جلّ ثناؤه شيء بغير لغة العرب) عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن عَلَى سبعة أحرُف أَوْ قال بسبعِ لغات، منها خمسٌ بلغة العَجْزِ من هَوازن وهم الذين يقال لهم علُيا هَوازن وهي خمس قبائل أَوْ أربع، منها سَعدُ بن بكر وجُشَمُ بن بكر ونَصْر بن مُعاوية وثَقيف. قال أبو عُبيد: وأحسب أفصَحَ هؤلاء بني سعد بن بكر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أفصَح العَرَب مَيْد أني من قريش وأني نشأت فِي بني سعد بن بكر" وَكَانَ مُسْتَرْضَعاً فيهم، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العَلاء: أفصح العرب عُليا هَوازِن وسُفْلى تميم. وعن عبد الله بن مسعود أنه كَانَ يَستَحبُّ أن يكون الذين يكتبون المَصاحف من مُضر. وقال عمر: لا يُمْلِيَنَّ فِي مَصاحِفِنا إلاَّ غلمان قريش وثَقيف. وقال عثمان: اجعلوا المُمليَ من هُذَيل والكاتبَ من ثقيف.

قال: [أبو عبيد] وزعم أهل العَربية أن القرآن لَيْسَ فِيهِ من كلام العجَم شيء وأنه كلَّه بلسانٍ عربيّ، يتأوَّلون قوله جلّ ثناؤه "إنا جعلناه قرآناً عربياً" وقوله "بلسان عربيّ مبين". قال أبو عبيد: والصواب من ذَلِكَ عندي – والله اعلم – مذهب فِيهِ تصديق القوْلين جميعاً. وذلك أنَّ هَذِهِ الحروف وأصولها عجمية – كما قال الفقهاء – إلاَّ أنها سقَطَت إِلَى العرب فأعرَبَتها بألسنَتها،

وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إِلَى ألفاظها فصارت عربيَّة. ثُمَّ نزل القرآن وَقَدْ اختَلَطت هَذِهِ الحروف بكلام العَرَب. فمن قال إنها عَرَبية فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق.

(د) باب (القول فِي مأخذ اللغة)

تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربيّ يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم عَلَى مَرّ من الأوقات. وتؤخذ تلقُّناً من ملقّن. وتؤخذ سماعاً من الرُّواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتَّقى المظنون.

(هـــ) باب القول فِي الاحتجاج باللغة العربية

لغةُ العرب يحتج بِهَا فيما اختلفُ فيه، إِذَا كَانَ "التنازع في اسم أو صفة أو شيء ومما تستعمله العرب من سننها في حقيقة ومجاز، أو ما أشبه ذلك مما يجيء في كتابنا هذا إن شاءَ الله. فأما الذي سبيله سبيل الاستنباط، أو ما فيه لدلائل العقل مجال – فإن العرب وغيرهم فيه سواء؛ لأن سائلا لو سأل عن دلالة من دلائل التوحيد أو حجة في أصل فقه أو فرعه – لم يكن الاحتجاج فيه بشيء من لغة العرب، إذ كان موضوع ذلك على غير اللغات. فأما الذي يختلف فيه الفقهاء – من قوله جل وعز: (أو لامستُم النساء) وقوله: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قُروء) وقوله جل وعز: (ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم) وقوله: (ثم يعودون لما قالوا) – فمنه ما يصلح الاحتجاج فيه بلغة العرب، ومنه ما يوكل إلى غير ذلك.

(و) باب (القول على لغة العرب هل لها قياس وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟)

أجمع أهل اللغة إلا من شذ عنهم أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجنّ مشتق من الاجتنان. وأن (الجيم والنون) تدُلاَّن أبداً عَلَى الستر. تقول العرب للدّرع: جُنَّة. وأجَنه الليلُ. وهذا جنين، أي هو فِي بطن أمّه أَوْ مقبور. وأن الإنس من الظهور. يقولون: آنَسْت الشيء: أبصرته. وَعَلَى هَذَا سائرُ كلام العَرَب، عَلم ذَلِكَ من عَلِم وجَهِلَه من جهل.. وَلَيْسَ لَنَا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير مَا قالوه، ولا أن نقيس قياساً لَمْ يقيسوه، لأن فِي ذَلِكَ فسادَ اللغة وبُطلان حقائقها. ونكتةُ الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نَقيسهُ الآن نحن.

(ز) باب (مراتب الكلام فِي وُضوحه وإشكاله)

أما واضح الكلام – فالذي يفهمه كلّ سامع عرَف ظاهرَ كلام العرب. كقول القائل: شربت ماءً ولَقيت زيداً. وكما جاء فِي كتاب الله جلّ ثناؤه: "حُرِّمَتْ عليكم المَيْتَةُ والدمُ ولحمُ

الخِنْزير" وكقول النبي صلى الله تعالى عَلَيْهِ وسلم: "إِذَا اسْتَيْقَظَ أحدُكم من نومه، فلا يَغْمِسْ يدَه فِي الإِناء حَتَّى يَغْسِلَها ثلاثاً".

وأما المشكل، فالذي يأتيه الإشكال من: غَرابة لفظه، أَوْ أن تكون فِيهِ إشارة إِلَى خبر لَمْ يذكره قائلهُ عَلَى جهته، أَوْ أن يكون الكلام فِي شيء غير محدود، أَوْ يكون وَجيزاً فِي نفسه غير مَبْسوط، أَوْ تكون ألفاظه مُشتركةً.

فأما المُشكلِ **لغرابة لفظه** – فمنه فِي كتاب الله جلَّ ثناؤه "فلا تَعْضُلوهن"، "ومِن الناس من يعبُد الله عَلَى حَرف"، "وسَيِّداً وحَصُوراً"، "ويُبْرئُ الأكْمَهَ" وغيرُهُ مما صَنَّف علماؤنا فِيهِ كتَبَ غريب القرآن. ومنه فِي حديث النبي صلى الله تعالى عَلَيْهِ وسلم: "عَلَى التِّيعَةِ شاة. والتِّيمة لصاحبها. وَفِي السُّيُوبِ الخُمُس لا خِلاطَ ولا وِراطَ ولا شِناقَ ولا شِغارَ

والذي **أشكل لإيماء** قائله إِلَى خبر لَمْ يُفصح بِهِ – فكقوله: إِن العصا قُرِعَت لِذِي الحِلْمِ.

والذي **يشكل لأنه لا يُحَدُّ فِي نفس الخطاب** – فكقوله جلّ ثناؤه: ""أقيموا الصلاة" فهذا مجمّل غير مفصل حَتَّى فَسَّره النبي صلَى الله تعالى عَلَيْهِ وسلم:

والذي أشكل **لوجَازة لفظه** قولهم:

الغَمَراتِ ثُم يَنْجَلِينَا

والذي يأتيه الإشكال من **اشتراك اللفظ**: قول القائل: وضَعوا اللُّجَّ عَلَى قَفيَّ. (اللج هو السيف) ويظهر هنا أن الإشكال ليس من جهة الاشتراك اللفظي كما زعم ابن فارس وإنما من جهة غرابة اللفظ.

(ح) باب (الأسماء كَيْفَ تقع عَلَى المسميات)

يُسمَّى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرَجُل وفَرَس. ونُسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: "عين الماء" و "عين المال" و "عين السحاب".

ويسمى الشيء الواحد بالأَسماء المختلفة (الترادف)، نحو: "السيف والمهنّد والحسام".

والذي نقوله فِي هَذَا: إن الاسم واحد وهو "السيف" وَمَا بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى. وَقَدْ خالف فِي ذَلِكَ قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إِلَى معنى واحد. وذلك قولنا: "سيف وعضب وحُسام". وقال آخرون: لَيْسَ منها اسم ولا صفة إلاَّ ومعناه غيرُ معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال. نحو: مضى وذهب وانطلق. وقعد وجلس. ورقد ونام وهجع. قالوا: ففي "قعد" معنى لَيْسَ فِي "جلس"

وكذلك القول فيما سواهُ . . . ومن سُنَن العرب فِي الأَسماء أن يسمّوا المتضادَّين باسم واحد. نحو "الجَوْن" للأسود و "الجَوْن" للأبيض. وأنكر ناس هَذَا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضدّه. وهذا لَيْسَ بشيء. وذلك أن الَّذين رَوَوْا أن العرب تُسمي السيف مهنَّداً والفَرَسَ طِرْفاً هم الَّذين رَوَوْا أن العرب تُسمِّي المتضادَّين باسم واحد. وَقَدْ جرَّدنا فِي هَذَا كتاباً ذكرنا فِيهِ مَا احتجوا به، وذكرنا ردَّ ذَلِكَ ونقصه، فلذلك لَمْ نكرّرهُ.

(ط) باب (النحت)

العرب تَنْحَتُ من كلمتين كلمةً واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك مثل: "رجل عَبْشَميّ" منسوب إِلَى اسمين، وأنشد الخليل:

أقول لَهَا ودمعُ العين جارٍ أَلَمْ تَحْزُنْكِ حَيْعَلةُ المنادي

مكان قوله: "حَيَّ علي". وهذا مذهبنا فِي أنّ الأشياء الزائدة عَلَى ثلاثة أحرف أكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد "ضَبَطرٌ" [ضبط وضبر] وَفِي "الصِّلِّدْم" إنه من "الصَّلد" و "الصَّدْم". وَقَدْ ذكرنا ذَلِكَ بوجوهه فِي كتاب مقاييس اللغة.

معجم مقاييس اللغة

لأبن فارس كتاب آخر نادر في موضوعة وقيّم في مادته هو (معجم مقاييس اللغة)، فهو معجم فريد في بابه ، لا يشبهه في تناول المفردات إلا كتاب (مفردات غريب القرآن) للأصفهاني، إلا أن الأخير خاص بمفردات القرآن الكريم لا يتعداها، وأما المقاييس فقد تناول معظم مفردات اللغة. وقد بُنـــي معجم مقاييس اللغة على فكرتين تُعدان من أهم موضوعات فقه اللغة: (١) إن لمفردات العربية مقاييس صحيحة وأصولا تتفرع منها. وهذه الفكرة ذكرها ابن فارس أيضا في الصاحبي في باب (القول على لغة العرب هل لها قياس وهل يشتق بعض الكلام من بعض) حيث قال: "أجمع أهل اللغة إلا من شذ عنهم أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجنّ مشتق من الاجتنان. وأن **الجيم والنون** تدُلاَّن أبداً عَلَى الستر. تقول العرب للدّرع: جُنَّة. وأجَنه الليلُ، وهذا جنين، أي هو فِي بطن أمّه أَوْ مقبور." وقد طبق هذه الفكرة في معجم المقاييس. (٢) والفكرة الثانية هي رأيه في أصل ما فوق الرباعي، وقد ذكر ذلك في الصاحبي عندما قال: "مذهبنا فِي أنّ الأشياء الزائدة عَلَى ثلاثة أحرف أكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد "ضَبَطرٌ" [ضبط وضبر] وَفِي "الصِّلِّدْم" إنه من "الصَّلد" و "الصَّدْم." ولكنه في المقاييس توسع في تطبيق هذا المفهوم على ما يربو على ثلاثمائة لفظ، وما خرج عن ذلك نسبه

إما لزيادة حرف على الثلاثي أو نسبه إلى أصل الوضع. وهنا سنورد أمثلة الاشتقاق الذي اصطلح من بعده على تسميته بالاشتقاق الأصغر:

برم الباء والراء والميم يدلُّ على أربعة أصولٍ: إحكام الشَّيء، والغَرَض به، واختِلاف اللَّونين، وجنسٌ من النَّبات.

فأمّا الأوّل فقال الخليل: أبْرَمْتُ الأمرَ أحكمتُه. قال أبو زياد: المبارم مغازلُ ضِخامٌ تُبْرِم عليها المرأةُ غَزْلَها، ويقال أبرمْتُ الحَبْلَ، إذا فتَلْتَه متيناً، وَالمُبْرَم الغزْل.

وأمَّا الغَرَض فيقولون: بَرِمْتُ بالأمرِ عَيِيتُ به، وَأبرَمَني أعْيَاني. قال: ويقولون أرجُو أنْ لا أَبْرَمَ بالسُّؤَالِ عن كذا، أي لا أعْيَا.

وأمّا اختلاف اللَّوْنَيْن فيقال إنّ البريمَين النَّوعانِ مِنْ كلّ مِن ذي خِلْطَيْنِ، مثل سوادِ اللَّيْلِ مختلطاً ببياض النهار، وكذلك الدَّمع مع الإثْمِد بَريمٌ. قال أبو زياد: ولذلك سُمّي الصُّبْحُ أوَّلَ ما يبدُو بَرِيماً، لاختلاط بياضِه بسواد اللَّيل؛ وَالبريم شيءٌ تشدُّ به المرأةُ وسَطَها، منظَّم بخَرَزٍ.

والأصل الرابع: البَرَم، (وأطيبُها ريحا) بَرَمُ السَّلَم، وأخْبَثُها ريحاً بَرَمَةُ العُرْفُط، وهي بيضاءُ كبَرَمَةِ الآس. قال أبو زياد: البَرَمَةُ الزَّهرةُ التي تخرج فيها الحُبْلة. أبو الخطّاب: البَرَم أيضاً حُبوبُ العِنَب إذا زادَتْ على الزَّمَعِ، أمثال رُءُوس الذّرّ.

وشذّ عن هذهِ الأصول البُرَام، وهو القُرَاد الكبير، تقول العرب: «هو أَلْزَقُ مِنْ بُرام»؛ وكذلك البُرْمة، وهي القِدْر.

والظاهر أن الأمر بخلاف ما قال ابن فارس لأن هذه المعاني راجعة إلى أصل واحد وهو اللف والبرم. فالغرض هو الشعور بعصر في الجوف، وبرم الشجر لأن زهرته مبرومة، واختلاف اللونين لأن الحبل يلف منمن شريختين مختلفتي اللون.

جدر الجيم والدال والراء أصلان: فالأوَّل الجِدار، وهو الحائط وجمعه جُدُر وَجُدْران، وَالجَدْرُ أصل الحائط، ومنه الجَديرة، شيءٌ يُجْعَل للغنم كالحظيرة. ومن هذا الباب قولهم هو جديرٌ بكذا، أي حريٌّ به، وهو مما ينبغي أن يثبت ويبني أمرَه عليه. ويقولون: الجديرة الطبيعة.

والأصل الثاني ظُهور الشيء، نباتاً وغيره. فالجُدرِيّ معروف، وهو الجَدَرِيُّ أيضاً. وَالجَدَر سِلْعَةٌ تظهر في الجَسَد، وَالجَدْر النبات، يقال: أجْدَرَ المكانُ وَجَدَرَ، إذا ظهر نباته.

وَالجَدْرُ: أثر الكَدْمِ بعُنق الحمار، وإنما يكون من هذا القياس لأنَّ ذلك يَنْتَأُ له جلدُه، فكأنَّه الجُدَرِيّ.

جرح الجيم والراء والحاء أصلان: أحدهما الكسب، والثاني شَقّ الجِلْد.

فالأوّل قولهم (اجترح) إذا عمل وكَسَب؛ قال الله عزّ وجلّ: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ} (الجاثية٢١)؛ وإنّما سُمّي ذلك اجتراحاً لأنه عَمَلٌ بالجوَارح، وهي الأعضاء الكواسب. وَالجوارحُ من الطَّير والسباع: ذَوَاتُ الصَّيد.

وأما الآخَر (فقولهم) جرحَه بحديدةٍ جرْحاً، والاسم الجُرْح. ويقال جرَح الشاهدَ إذا ردّ قولَه بِنَثاً غيرِ جميل، وَاستَجْرَحَ فلانٌ إذا عمل ما يُجْرَح من أجله.

عوي العين والواو والياء: أصلٌ صحيح يدلُّ على ليّ في الشيء وعطْفٍ له.

قال الخليل: عَوَيت الحبلَ عَيًّا إذا لويتَه، وعَوَيت رأس النّاقة، إذا عُجْتَه فانعوى، والناقة تَعْوِي بُرَتَها في سَيرها، إذا لوَتْها بخَطْمها، وتقول للرّجُل إذا دعا النّاسَ إلى الفتنة: عوى قومًا، واستعوى. فأمَّا عُوَاء الكلب وغيرِه من السباع فقريبٌ من هذا، لأنّه يَلوِيه عن طريق النَّبْح: يقال عَوَتِ السّباع تَعوِي عُواءً؛ وأمّا الكَلْبة المستحرِمة فإنَّها تسمَّى المعاوِيَة، وذلك من العُواء أيضًا، كأنَّها مُفاعلة منه. والعَوَّاء: نجمٌ في السماء، يؤنّث، يقال لها: «عوّاء البَرْد»، إذا طلعت جاءت بالبرد، وليس ببعيد أن تكون مشتقَّةً من العُواء أيضًا، لأنّها تأتي ببردٍ تعوي له الكلاب؛ ويقولون في أسجاعهم: «إذا طلعت العَوَّاء، جَثَمَ الشتاء، وطابَ الصّلاء»، وهي في هذا السَّجع ممدودة، وهي تمدُّ وتقصر. ويقولون على معنى الاستعارة لسافِلَة الإنسان: العَوَّاء.

ويبدو لنا أن ما قرره ابن فارس من أن عوى الذئب مأخوذ من معنى لوى ليس صحيحا لأنه من الكلمات المحاكية لمعناه أي لصوت الذئب، لأنه يخيل إلينا أن صوته (عووووو).

برق الباء والراء والقاف تعود إلى أصلين أحدهما اللمعان والآخر شئ به نقط بيض وسود. والواقع أن هذا أصل واحد وليس كما زعم. والذي يظهر لنا أنهما يعودان إلى أصل واحد لأن اجتماع البياض والسواد يؤدي إلى حدوث ما يشبه البريق لتداخل اللونين كما يتداخل النور والظلام.

ما جاء من كلام العرب على أكثَر من ثلاثة أحرف

اعلم أنّ للرُّباعيّ والخُماسيّ مذهباً في القياس، يَستنبطه النَّظرُ الدَّقيق. وذلك أنّ أكثر ما تراه منه منحوتٌ، ومعنى النَّحت أن تُؤخَذَ كلمتان وتُنْحَتَ منهما كلمةٌ تكون آخذةً منهما جميعاً بحَظّ. والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم حَيْعَلَ الرَّجُل، إذا قالَ حَيَّ عَلى.

ومن الشيءِ الذي كأنَّه متَّفَقٌ عليه قولهم عَبْشَمّى من عبد شمس.

فعلى هذا الأصل بَنَيْنَا ما ذكرناه من مقاييس الرُّباعي، فنقول: إنَّ ذلك على ضربين: أحدهما المنحوت الذي ذكرناه، والضَّرْب الآخر (الموضوع) وضعاً لا مجالَ له في طُرق القياس، وسنبيِّن ذلك بعَون الله.

ما جاءَ منحوتاً من كلام العرب في الرُّباعي

ومن ذلك بَحْثَرْتُ الشيءَ، إذا بَدّدته، وَالبَحْثَرَة: الكَدَر في الماء. وهذه منحوتةٌ من كلمتين: من بحْتُ الشَّيء في التراب ومن البَثر الذي يَظْهَر على البَدَن، وهو عربيٌّ صحيحٌ معروف، وذلك أنَّه يَظْهَرُ متفرِّقاً على الجِلْد

ومن ذلك السَّحْبَل: الوادي الواسع، وكذلك القِرْبة الواسعة: سَحْبلة؛ فهذا منحوت من سحل إذا صبّ، ومن سَبَل، أومن سَحَبَ إذا جرى وامتدّ،

ومن ذلك المُغَثْمَرُ، وهو الثَوْب الخشنُ الرَّدىء النَّسْج. يقال: ألبستُهُ المغَثْمَرَ لأدفع به عنه العينَ؛ وهذه منحوتةٌ من كلمتين: من غثم وغثر، أمّا غثر فمن الغُثْر، وهو كلُّ شيء دُونٍ. وأمّا غثم فمن الأغثم: المختلط السَّواد بالبياض.

ما زيد فيه حرف للمبالغة

ومن هذا الباب ما يجيءُ على الرُّباعي وهو من الثلاثي على ما ذكرناه، لكنَّهم يزيدون فيه حرفاً لمعنىً يريدونه مِنْ مبالغةٍ، كما يفعلون ذلك في زُرْقُمٍ وخَلْبَنٍ، لكن هذه الزيادَة تقع أوّلاً وغيرَ أوّلٍ.

ومن ذلك البَحْظَلَة قالوا: أنْ يَقفزَ الرَّجُل قَفَزانَ اليَربوع، فالباء زائدةٌ؛ قال الخليل: الحاظل الذي يمشي في شِقِّه، يقال مَرَّ بنا يْحَظَلُ ظالِعاً.

ومن ذلك البِرْشاع الذي لا فُؤاد له. فالرَّاء زائدة، وإنما هو من الباء والشين والعين التي تدل على الكراهة والضيق.

ومن ذلك البَرْغَثة، الراء فيه زائدة وإنما الأصل الباء والغين والثاء. والأبغث من طير الماء كلون الرَّماد، فالبَرْغَثةُ لونٌ شبيهٌ بالطُّحْلة، ومنه البُرْغُوث.

ومن ذلك البَرْجَمَةُ: غلَطُ الكَلام، فالراء زائدةٌ، وإنَّما الأصل البَجْم. قال ابنُ دريد: بَجَم الرّجُل يَبْجُمُ بُجُوماً، إذا سكَتَ من عِيَ أو هَيْبَة، فهو باجِمٌ.

ومن ذلك بَرْعَمَ النَّبْتُ إذا استدارَتْ رُءُوسُه، والأصل بَرَع إذا طال ومن ذلك البَرْكَلَةُ وهو مَشْيُ الإنسان في الماء والطِّين، فالباء زائدةٌ، وإنما هو من تَرَكَّلَ إذا ضَرَبَ بإحدى رجليه فأدخلها في الأرض عند الحفْر.

ومن ذلك الفَرقَعة: تنقيضُ الأصابع، وهذا مما زيدت فيه الراء، وأصله فَقَع.

ما وضع من الرباعي وضعا

البُهْصُلَةُ: المرأة القَصيرة، وحمار بُهْصُلٌ قصير. وَالبُخْنُق: البُرْقُع القصير، وقال الفرّاء: البُخْنُق خِرْقةٌ تَلْبَسُها المرأة تَقي بها الخِمَار الدُّهْنَ. البَلْعَثُ: السّيِء الخُلُق. البَهْكَنَةُ: السُّرْعة. البَحْزَج: وَلَدُ البَقَرة وكذلك البُرْغُزُ. بَرْذَنَ الرَّجُل: ثَقُل. البرازِق: الجماعات. البُرْزُلُ: الضخم. ناقة بِرْعِس: غَزِيرة. بَرْشَط اللَّحْمَ: شَرْشَرَهُ. بَرْشَمَ الرَّجُلُ، إذا وَجَمَ وأظهر الحُزْن، وَبَرْهَم إذا إدامَ النظَر. والبَرْقَطَة: خَطْوٌ متقارب.

وممّا وضع وضعًا وليس ببعيدٍ أن يكون له قياس: غَرْدَقْتُ السَّتْرَ: أرسلتُه، والغُرْنُوق: الشاب الجميل. والغُرْنَيْق طائر.

كتب على شاكلة الصاحبي في فقه اللغة

هناك كتب أخرى طرقت موضوعات تشبه تلك التي اشتمل عليها كتاب الصاحبي. من هذه الكتب: (الخصائص) لابن جني، و(المزهر في علوم اللغة) للسيوطي.

كتاب الخصائص لابن جني

ولد ابن جني من أب رومي يوناني. نشأ بالموصل وأخذ النحو عن الأخفش وأبي على الفارسي الذي لازمه طويلاً، واجتمع بالمتنبي الذي، أعجب بسعة علمه في اللغة، في بلاط سيف الدولة وفي شيراز عند عضد الدولة. وكان المتنبي إذا سئل عن دقيقة في شعره قال: اسألوا عنها صاحبنا ابن جني . أهدى كتاب (الخصائص) إلى بهاء الدولة الذي تولى الملك في بغداد. وتوفي هذا العالم اللغوي الفذ سنة ٣٩٢هـ.

جاء في مقدمة الخصائص "هذا أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور المؤيد بهاء الدولة ... كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظا له عاكف الفكر عليه ... هذا مع إعظامي له وإعصامي بالأسباب المنتاطة به واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم العرب وأذهبه في طريق القياس والنظر ... وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة.

ثم يبين ابن جني غرضه من تأليف هذا الكتاب قائلا: "ذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه فأما كتاب أصول أبي بكر [ابن السراج] فلم يلمم فيه بما نحن عليه إلا حرفا أو حرفين في أوله وقد تعلق عليه به وسنقول في

معناه. على أن أبا الحسن [الأخفش] قد كان صنف في شئ من المقاييس كتيبا إذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنا نُبْنا عنه فيه وكفيناه كُلفة التعب به وكافأناه على لطيف ما أولاناه من علومه."

ابن جني قصد بقوله في المقدمة "لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه" تطبيق مناهج أصول الكلام والفقه على المباحث اللغوية. وبعبارة أخرى يريد أن يطبق منهج التعليل والقياس الذي اعتمده الأصوليون والفقهاء في استنباط الأحكام من النصوص على النظر في اللغة. ويقال إنه أول من أدخل منهج القياس في الدرس اللغوي.

ونجده في (باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية) يقارن بين القياس عند اللغويين من جهة وعند الفقهاء والكلاميين من جهة أخرى، فيقول: "اعلم أن علل النحويين وأعنى بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك حديث علل الفقه وذلك أنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج وفرائض الطهور والصلاة والطلاق وغير ذلك إنما يرجع في وجوبه إلى ورود الأمر بعمله ولا تعرف علة جعل الصلوات في اليوم والليلة خمسا دون غيرها من العدد ولا يعلم أيضا حال الحكمة والمصلحة في عدد الركعات ولا في اختلاف ما فيها من التسبيح والتلاوات إلى غير ذلك مما يطول ذكره ولا تحْلى النفس بمعرفة السبب الذي كان له ومن أجله وليس كذلك علل النحويين وسأذكر طرفا من ذلك لتصح الحال به.

ويحتج للشبه بين علل النحويين والكلاميين بما ذكره أبو إسحاق في سبب رفع الفاعل ونصب المفعول حيث قال: "إنما فعل ذلك للفرق بينهما، ثم سأل نفسه فقال فإن قيل فهلا عكست الحال فكانت فرقا أيضا قيل الذي فعلوه أحزم وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة فرفع الفاعل لقلته ونصب المفعول لكثرته وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون فجرى ذلك في وجوبه ووضوح أمره مجرى شكر المنعم وذم المسئ في انطواء الأنفس عليه وزوال اختلافها فيه ومجرى وجوب طاعة القديم سبحانه لما يعقبه من إنعامه وغفرانه ومن ذلك قولهم إن ياء نحو ميزان وميعاد انقلبت عن واو ساكنة لثقل الواو الساكنة بعد الكسرة وهذا أمر لا لبس في معرفته ولا شك في قوة الكلفة في النطق به وكذلك قلب الياء في موسر وموقن واوا لسكونها وانضمام ما قبلها ولا توقف في ثقل الياء الساكنة بعد الضمه لأن حالها في ذلك حال الواو الساكنة بعد الكسرة وهذا كما تراه أمر يدعو

الحس إليه ويحدو طلب الاستخفاف عليه وإذا كانت الحال المأخوذ بها المصير بالقياس إليها حسية طبيعية فناهيك بها ولا معدل بك عنها."

يمكن القول بأن موضوعات الخصائص تدور حول القضايا التالية:

أ) ماهية اللغة وتعرفها وماهية الكلام والقول والإعراب.

ب) أصل اللغة ومبدئها وجمع اللغة وتوثيقها وحجيتها.

ج) موضوعات تتعلق مستويات الدرس اللغوي: الأصوات والاشتقاق والصرف والنحو.

موضوعات فقه اللغة في كتاب الخصائص

يجدر بنا في هذا المقام أن نفصل الكلام في قضايا فقه اللغة المشهورة التي وردت في الخصائص وهي كالتالي:

– **تعريف اللغة** :- نجد في الخصائص أشهر تعريف للغة في الفكر العربي والإسلامي، وهو تعريف تناقله بعد ذلك اللغويون والأصوليون. يقول ابن جني: أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم هذا حدها، وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فعلة من لغوت أي تكلمت وأصلها لغوة ككرة وقلة وثُبَة كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرة وقلوت بالقلة، وقيل منها لغي يلغي إذا هذي ومصدره اللغا. وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما أي بالباطل وفي الحديث من قال في الجمعة صه فقد لغا أي تكلم.

– **مبدأ اللغات** :- تعرض ابن فارس لمبدأ اللغات ولكن بشكل مقتضب أما ابن جني فقد ذكر النظريات الثلاث المتداولة بين مفكري عصره في باب بعنوان (باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح).

بدأ أولا ببيان صعوبة البحث في هذا الموضوع الشائك قائلا: "هذا موضع محوج إلى فضل تأمل." ثم بدأ بعد ذلك بإيراد رأي أهل الاصطلاح قائلا: غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف. وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة. قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز من غيره وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله. بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه كالفاني وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد ... فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومئوا إليه وقالوا: إنسان إنسان إنسان فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من

المخلوق وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا: يد عين رأس قدم أو نحو ذلك. فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معنيُّها وهلم جرا فيما سوى هذا من الأسماء والأفعال والحروف. ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها فتقول: الذي اسمه إنسان فليجعل مكانه مرد والذي اسمه رأس فليجعل مكانه سر وعلى هذا بقية الكلام.

ثم ذكر رأي القائلين بالتوقيف وحججهم:

إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يوماً: هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا) وهذا أيضاً رأي أبي الحسن على أنه لم يمنع قول من قال: إنها تواضع منه. على أنه قد فسر هذا بأن قيل: إن الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية والفارسية والسريانية والعبرية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بها ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه واضمحل عنه ما سواها لبعد عهدهم بها. وإذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده والانطواء على القول به.

ثم بعد هذا يذكر رأي عباد بن سليمان الصيمري الذي يرى أن اللغة بدأت طبيعية عن طريق المحاكاة: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل.

ثم نراه أمام هذه الآراء المتباينة وغياب الأدلة القطعية يفصح عن تردده في هذه القضية قائلا: "واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكري. وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر... ثم أقول في ضد هذا: كما وقع لأصحابنا ولنا وتنبهوا وتنبهنا على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا .. من كان ألطف منا أذهاناً وأسرع خواطر وأجرأ جناناً. فأقف بين تين الخلتين حسيراً وأكاثرهما فأنكفيء مكثوراً.

– باب في الاشتقاق الأكبر

هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي رحمه الله كان يستعين به ويخلد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر. لكنه مع هذا لم يسمه وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه

ويتعلل به. وإنما هذا التلقيب لنا نحن. وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن. وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير. فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه. وذلك كتركيب " س ل م " فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم: اللديغ أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة.

وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته وبقية الأصول غيره كتركيب " ض ر ب " و " ج ل س " و " ز ب ل " على ما في أيدي الناس من ذلك. فهذا هو الاشتقاق الأصغر. وقد قدم أبو بكر رحمه الله رسالته فيه بما أغنى عن إعادته لأن أبا بكر لم يأل فيه نصحا وإحكاما وصنعة وتأنيسا.

وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد.

وقد كنا قدمنا ذكر طرف من هذا الضرب من الاشتقاق في أول هذا الكتاب عند ذكرنا أصل الكلام والقول وما يجيء من تقليب تراكيبهما نحو " ك ل م " " ك م ل " " م ك ل " " م ل ك " " ل ك م " " ل م ك " وكذلك " ق و ل " " ق ل و " " و ق ل " " و ل ق " " ل ق و " " ل و ق " وهذا أعوص مذهباً وأحزن مضطربا. وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة على القوة والشدة وتقاليب القول الستة على الإسراع والخفة. وقد مضى ذلك في صدر الكتاب. لكن بقي علينا أن نحضر هنا مما يتصل به أحرفا تؤنس بالأول وتشجع منه المتأمل.

فمن ذلك تقليب " ج ب ر " فهي أين وقعت "للقوة والشدة."

منها جبرت العظم والفقير إذا قويتهما وشددت منهما والجبر: الملك لقوته وتقويته لغيره. ومنها رجل مجرب إذا جرسته الأمور ونجذته فقويت منته واشتدت شكيمته. ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه وإذا حفظ الشيء وروعى اشتد وقوى وإذا أغفل وأهمل تساقط ورذى.

ومنها الأبجر والبجرة وهو القوي السرة.

ومنه البُرج لقوته في نفسه وقوة ما يليه به وكذلك البَرج لنقاء بياض العين وصفاء سوادها هو قوة أمرها وأنه ليس بلون مستضعف

ومنها رجبت الرجل إذا عظمته وقويت أمره. ومنه رجب لتعظيمهم إياه عن القتال فيه وإذا كرمت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة وهو شيء تسند إليه لتقوى به. والراجبة: أحد فصوص الأصابع وهي مقوية لها.

ومنها الرباجي وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله قال: وتلقاه رباجيا فخورا تأويله أنه يعظم نفسه ويقوي أمره.

واعلم أنا لا ندعى أن هذا مستمر في جميع اللغة كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة. بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه متعذرا صعبا كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهبا وأعز ملتمسا. بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقلب كان غريباً معجباً. فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاريه إلى المدى الأبعد.

– إمساس الألفاظ أشباه المعاني

يقصد ابن جني بعبارة (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) محاكاة الألفاظ لمعانيها. وقد بين أنواع هذه المحاكاة:

(أ) محاكاة الصوت: من ذلك تسميتهم الأشياء بأصواتها كالخازباز لصوته والبط لصوته والواق للصرد لصوته وغاق للغراب لصوته وحنين الرعد.

(ب) محاكاة طبيعة الأحداث والأشياء: يقول: كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها. من ذلك قولهم: خضم وقضم. فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه والنضخ أقوى من النضح. قال الله سبحانه: فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف والخاء لغلظها لما هو أقوى منه.

(جـــ) محاكاة الحركة: قال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو النقزان والغلبان والغثيان. فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال. ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه ومنهاج ما مثلاه. وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة والصعصعة والجرجرة والقرقرة. ووجدت أيضاً الفَعَلى في المصادر والصفات إنما تأتى للسرعة نحو البَشَكي والجَمَزي والوَلَقي.

(د) محاكاة قوة الأحداث أو كثرتها: ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل فقالوا: كسّر وقطّع وفتّح وغلّق. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما.

(هـ) محاكاة ترتيب الحدث: وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها وتقديم ما يضاهي أول الحدث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب. وذلك قولهم: (بحث). فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض والثاء للنفث والبث للتراب. ومن ذلك قولهم: شد الحبل ونحوه. فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ثم يليه إحكام الشد والجذب وتأريب العقد فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين ولاسيما وهي مدغمة فهو أقوى لصنعتها وأدل على المعنى الذي أريد بها.

– تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني

وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني. وهذا باب واسع.

من ذلك قول الله سبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هزا والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز.

ومنه العسف والأسف والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها والهمزة أقوى من العين كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف. فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين.

ومنه الجرفة وهي من "ج ر ف" وهي أخت جلفت القلم إذا أخذت جُلْفته وهذا من "ج ل ف" وقريب منه الجنف وهو الميل وإذا جَلَفت الشيء أو جرفته فقد أملته عما كان عليه وهذا من "ج ن ف ".

ومن ذلك تركيب "ح م س" و"ح ب س" قالوا: حبست الشيء وحمس الشر إذا اشتد. والتقاؤهما أن الشيئين إذا حبس أحدهما صاحبه تمانعا وتعازا فكان ذلك كالشر يقع بينهما.

ومنه العَلْب: الأثر والعَلْم: الشقّ في الشفة العليا. فذاك من "ع ل ب" وهذا من "ع ل م" والباء أخت الميم

ومن ذلك العلز: خفة وطيش وقلق يعرض للإنسان وقالوا العلوص لوجع في الجوف يلتوي له.

ومنه الغَرب: الدلو العظيمة وذلك لأنها يغرف من الماء بها فذاك من "غ ر ب " وهذا من "غ ر ف".

واستعملوا تركيب "ج ب ل" و"ج ب ن" و"ج ب ر" لتقاربها في موضع واحد وهو الالتئام والتماسك. منه الجبل لشدته وقوته، وجبن إذا استمسك وتجمع، ومنه جبرت العظم ونحوه أي قويته.

وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين نحو قولهم: السحيل والصهيل قال:

وذاك من "س ح ل" وهذا من "ص هـــ ل" والصاد أخت السين كما أن الهاء أخت الحاء.

ومنه قولهم سحل في الصوت وزحر، والسين أخت الزاي كما أن اللام أخت الراء.

ومن من مضارعة الأصلين: جلف وجرم فهذا للقشر وهذا للقطع وهما متقاربان معنى متقاربان لفظاً لأن ذاك من "ج ل ف" وهذا من "ج ر م".

ومن مضارعة الأصول الثلاثة: ا: صال يصول كما قالوا: سار يسور.

وقالوا: زأر كما قالوا: سعل لتقارب اللفظ والمعنى.

وقالوا: صهل كما قالوا: صهل كما قالوا: زأر.

ومنه غدر و ختل (وتدلان على الخفاء).

المزهر في علوم اللغة للسيوطي

المزهر وفقة اللغة : لم يذكر السيوطي صراحة أن هذا الكتاب في فقه اللغة، إذن ما هي مسوغات اعتباره من كتب فقة اللغة . هناك اعتباران وراء هذا:

١- مما يدل على أنه أحد كتب فقه اللغة هو أنه ضمن في مقدمته جزءاً من مقدمة ابن فارس في كتاب الصاحبي في فقه اللغة، يقول: "وقبل الشروع في الكتاب نصدر بمقالة ذكرها أبو الحسين أحمد بن فارس في أول كتابه فقه اللغة قال: اعلم أن لعلم العرب أصلا وفرعا . . إلخ."

٢- عند النظر في موضوعات هذا الكتاب نجد أبواباً كثيرة من موضوعات فقه اللغة التى عرفناها في كتاب الصاحبي أو في الخصائص فمثلاً هناك موضوع بداية اللغة، والاشتقاق، الترادف، والاشتراك اللفظي، والقياس. إذن لاشك أن السيوطي وضع هذا الكتاب وفي ذهنه أنه يضع كتاباً في فقه اللغة .

ترتيب المزهر :- لقد اتبع السيوطي ترتيبا لطيفا "هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعت تنويعه وتبويبه وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ويعتني في بيانها بتمهيد المسالك غير أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ولا طرق سبيله قبلي طارق وقد سميته بالمزهر في علوم اللغة."

موضوعات المزهر: إن المزهر يتميز بتقسيم منهجي واضح بعكس الكتب السابقة. وهذا التقسيم متأثر بمنهج علماء الحديث. وهناك خمسة أقسام رئيسة:

(ا) **اللغة من حيث الإسناد** : في هذا القسم والذي يليه يظهر تأثير علم الحديث واضحا في المنهج والمصطلحات. يعدد السيوطي في مقدمته ثمانية أنواع من الموضوعات عائدة إلى إسناد اللغة، هي: (١) معرفة الصحيح الثابت، (٢) معرفة ما روي من اللغة ولم يصح ولم يثبت (٣) معرفة المتواتر والآحاد (٤) معرفة المرسل والمنقطع (٥) معرفة الأفراد (٦) معرفة من تقبل روايته ومن ترد (٧) معرفة طرق الأخذ والتحمل (٨) معرفة المصنوع وهو الموضوع ويذكر فيه المدرج والمسروق.

(ب) **اللغة من حيث الألفاظ**: يشتمل على ثلاثة عشر نوعا: معرفة الفصيح، معرفة الضعيف والمنكر والمتروك، معرفة الرديء المذموم، معرفة المطرد والشاذ، معرفة الحوشي والغرائب والشوارد والنوادر، معرفة المهمل والمستعمل، معرفة المفاريد، معرفة مختلف اللغة، معرفة تداخل اللغات، معرفة توافق اللغات، معرفة المعرب، معرفة الألفاظ الإسلامية، معرفة المولد.

(جـــ) **اللغة من حيث المعنى**: يتضمن ثلاثة عشر نوعا من الموضوعات: خصائص اللغة، معرفة الاشتقاق، معرفة الحقيقة والمجاز، معرفة المشترك، معرفة الأضداد، معرفة المترادف، معرفة الإتباع، معرفة الخاص والعام، معرفة المطلق والمقيد، معرفة المشجر، معرفة الإبدال، معرفة القلب، النحت.

(د) **طرائف اللغة وملحها**: يدخل تحته موضوعات مثل: معرفة الأمثال، معرفة الآباء والأمهات والأبناء والبنات والإخوة والأخوات والأذواء والذوات، معرفة الملاحن والألغاز.

(هـــ) **حفظ اللغة وضبط مفاريدها**: ومنه معرفة الأشباه والنظائر.

(ز) **رجال اللغة ورواتها**: وأنواعه تتعلق بموضوعات مثل: معرفة آداب اللغوي، معرفة كتاب اللغة، معرفة التصحيف والتحريف، معرفة الطبقات والحفاظ والثقات والضعفاء، معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب.

أهمية كتاب المزهر : كتاب المزهر من أهم كتب اللغة بوجه عام ومن أهم كتب فقه اللغة بوجه خاص لأمور منها :

(١) اشتماله على أبحاث وافية تتعلق بعدد من موضوعات فقه اللغة، مثل: أصل اللغة، وظيفة اللغة، الاشتقاق، الاشتراك اللفظي، الأضداد، الترادف، القلب، الإبدال، النحت، وغيرها.

(٢) اعتمد ترتيباً وتبويباً علمياً لطيفاً بناه منهج أهل الحديث، الأمر الذي جعل هذا الكتاب سهل المأخذ، واضح المنهج.

(٣) اشتمل على آراء أخذت من مصادر متعددة من كتب اللغة والأصول والبلاغة والكلام. فمثلاً المجاز موضوع شائك لم يكتف فيه السيوطي بإيراد آراء اللغويين وإنما استقصى فيه الآراء المختلفة التي أدلى بها اللغويون والبلاغيون وأهل الكلام والأصوليون وغيرهم .

(٤) حفظ المزهر بين دفتيه كثيرا من المواد والآراء التي كانت جزءا من كتب قيمة فقدت في عصرنا الحاضر.

فقه اللغة وسر العربية للثعالبي

ذكرنا من قبل أن مفهوم الثعالبي لفقه اللغة يختلف عنه عند ابن فارس، فالثعالبي يراه فقها وفهما دقيقا متعلقا بالمفردات والفروق الدقيقة بين استعمالاتها.

فقه اللغة وسر العربية ينقسم على قسمين رئيسين: الأول هو فقه اللغة، والثاني: سر العربية.

القسم الأول يشتمل على ثلاثين باباً وكل باب يحتوي على عدد من الفصول. والناظر في القسم الأول يجد أنه يشبه معجماً مؤلفاً حسب ترتيب المعاني لا ترتيب الألفاظ حسب أوائلها أو أواخرها.

أمثلة من القسم الأول (فقه اللغة)

في تَقْسِيم اللِّينِ

ثَوْبٌ لين

رِيح رُخَاء

رَمْح لَدْن

لَحْمٌ رَخْص
بَنَان طَفْل
شَعْر سُخام
غُصْن أُمْلُود
فِرَاشٌ وثِير
أَرْضٌ دَمِثَة
بَدَن نَاعِمٌ
فَرَس خَوَّارُ العِنَانِ إذا كان لَيِّنَ المَعْطَفِ.

فِي خِيَارِ الأَشْيَاءِ

سَرَوَاتُ النَّاسِ
حُمْرُ النَّعَمِ
جِيَادُ الخَيْلِ
عِتَاقُ الطَّيْرِ
لَهَامِيمُ الرِجَال
حَمَائِمُ الإِبِلِ ، واحِدُها: حَمِيمَة ، عَن ابْن السِّكِّيتِ
أَحْرَارُ البُقُولِ
عَقِيلَةُ المَالِ
حُرُّ المَتَاعِ والضِّيَاعِ.

فِيمَا لا خَيْرَ فِيهِ مِنَ الأَشْيَاءِ الرَّدِيئَةِ والفُضَالات والأَثْفَالِ

خُشَارَةُ النَّاسِ
خَشَاشُ الطَّيْرِ
نُفَايَةُ الدَّرَاهِمِ
قِشَامَةُ الطَّعَام
حُثَالَةُ المائِدَة
حُسَافَةُ التَّمْرِ

قِشْدَةُ السَّمْنِ
عَكَرُ الزَيْتِ
رُذَالَةُ المَتَاعِ
غُسَالَةُ الثِيَابِ
قُمَامَةُ البيْتِ
قُلامَةُ الظُّفْرِ
خَبَثُ الحَدِيدِ.

في الخُلُوِّ مِنَ اللِّبَاسِ والسِّلاح

رَجُلٌ حَافٍ مِنَ النَّعْلِ والخُفِّ
عُرْيَان مِنَ الثِّيَابِ
حَاسِر مِنَ العِمَامَةِ
أَعْزَلُ مِنَ السِّلاحِ
أَكْشَفُ مِنَ التُّرْسِ
أَمْيَلُ مِنَ السَّيْفِ
أَجَمُّ مِنَ الرُّمْحِ
أَنْكَبُ مِنَ ا لقَوْسَ.

في خَلاءِ الأَعْضَاءِ مِن شعُورِهَا

رَأْسٌ أَصْلَعُ
حَاجِب أَمْرَطُ وَأَطْرَطُ
جَفْن أَمْعَطُ
خَد أَمْرَدُ
عارِض أَثَطُّ
جَنَاح أحَصُّ
ذَنَبٌ أجْرَدُ

بَدَن أمْلَطُ ، قَالَ اللَيْثُ: الأمْلَطُ الَّذِي لاَ شَعْرَ على جَسَدِهِ كُلِّهِ إلا الرأسَ واللِّحْيَةَ، وكانَ الأحْنَفُ بنُ قَيْس أَمْلَطَ.

في الإشْبَاعِ والتَّأكِيد

أَسْوَدُ حَالِك

أبْيَض يَقِقٌ

أَصْفَرُ فَاقِعٌ

أخضَرُ نَاضِر

أَحْمَرُ قَانِئ.

فصل في الأولاَد

وَلَدُ الفِيلِ دَغْفَل

وَلَدُ النَّاقَةِ حوَارٌ

وَلَدُ الفَرَسِ مُهْر

وَلَد الحِمَارِ جَحْشٌ

وَلَدُ البَقَرَةِ عِجْل

وَلَدُ البَقَرَةِ الوَحْشِيَّةِ بَحْزَجٌ وَبَرْغَز

وَلَدُ الشّاةِ حَمَل

وَلَدُ العَنْزِ جَدْي

وَلَدُ الأسَدِ شِبْل

وَلَد الظَبِي خَشْفٌ

وَلَدُ الأرْوِيَّة وَعْل وَغَفْر

وَلَدُ الضَّبُع فُرْعُلٌ

وَلَدُ الدُّبِّ دَيْسَمٌ

وَلَدُ الخِنْزِيرِ خِنَّوْص

وَلَدُ الثَّعْلَب هِجْرِسٌ

وَلَدُ الكَلْبِ جَرْو

وَلَدُ الفَأْرَةِ درْصٌ
وَلَدُ الضَّبِّ حسْل
وَلَدُ القِرْدِ قشَّةَ
وَلَدُ الأرْنَبِ خِرْنِق
وَلَدُ اليَرْبِ خِنْصِيصٌ ، عن الخارَزَنجي عَنْ أبي الزَّحْفِ التَّمِيميّ
وَلَدُ الحيّةِ حِرْبِشٌ
وَلَدُ الدَّجَاجِ فَرُّوجٌ
وَلَدُ النَّعامِ رَأْلٌ.

في تَقْسِيم الشفَاه

شَفَةُ الإنْسانِ
مِشْفَر البَعِيرِ
جَحْفَلَةُ الفَرَسِ
خَطْمُ السَّبُعِ
مِقَمَّةُ الثَّوْرِ
مَرَمَة الشَاةِ
فِنْطِيسَةُ الخِنْزِيرِ

في تَقْسِيمِ الثَّدْي

ثَنْدُؤَةُ الرَّجُلِ
ثَدْيُ المرْأة
خِلْفُ النَّاقَةِ
ضَرْعُ الشَّاةِ والبَقَرَةِ
طُبْيُ الكَلْبَةِ.

في ضربِ الأعْضَاء

الضَّرْبُ بالرَاحَةِ عَلَى مُقَدَّم الرَّأْسِ صَقْع

وَعَلَى القَفَا صَفْع
وَعَلَى الوَجه صَكّ (وبه نَطَقَ القُرْآنُ)
وَعَلَىَ الخَدِّ بِبَسْط الكَفِّ لَطمٌ
وَبِقَبْضِ الكَفَ لَكْمٌ
وَبِكِلْتَا اليَدَيْنِ لَدْم
وَعَلَى الذَّقَنِ والحَنَك وَهْز ولَهْزٌ
وَعَلَى الصَدْرِ والجَنْبِ بالكَفِّ وَكْز وَلَكْز
وَعَلَى الجَنْبِ بالإصْبَعِ وَخْزٌ
وَعَلَى الصَّدْرِ والبَطْنِ بالرُّكْبَةِ زَبْن
وبالرِّجْل رَكْلٌ ورَفْسٌ
وَعَلَى العَجُزِ بالكَفِّ نَخْسٌ
وَعَلَى الضَرْعِ كَسْع
وَعَلى الاسْتِ بِظَهْرِ القَدَمِ ضَفْن.

في تَقْسيمِ الرَّمْي بأشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ

خَذَفَه بالحَصَى
حَذَفَهُ بالعَصَا
قَذَفَهُ بالحَجَرِ
رَجَمَهُ بالحجَارَةِ
رَشَقَهُ بالنَّبْلِ
نَشَبَهُ بالنُّشَّاب
زَرَقَهُ بالمِزْرَاقِ
حَثَاهُ بالتُّرابِ
نَضَحَهُ بالمَاءِ
لَقَعَهُ بالبَعْرَةِ . قَالَ أَبُو زَيْد: وَلا يَكُونُ اللَّقْعُ في غَيْرِ البَعْرَةِ مِمّا يُرْمَى بِهِ ، إلا أنَهُ يُقَالُ: لَقَعَه بِعَيْنِه إِذَا عَانَهُ أيْ: أصَابَهُ بِالْعَيْنِ.

في تَفْصيلِ جَمَاعَاتٍ شَتّى

جيلٌ مِنَ النَّاسِ
كَوْكَبَةٌ مِنَ الفُرْسَانِ
حِزْقَة مِنَ الغِلْمَانِ
حَاصِب مِنَ الرِّجَالِ
كَبْكَبَةٌ مِنَ الرَّجَّالَةِ
لُمَّة مِنَ النِّسَاءِ
رَعِيل مِنَ الخَيْلِ
صِرْمَةٌ مِنَ الإِبِلِ
قَطِيعٌ مِنَ الغَنَمِ
عَرْجَلَة مِنَ السِّبَاعِ
سِرْب مِنَ الظِّبَاءِ
عِصَابَةٌ مِنَ الطَّيْرِ
رِجْلٌ مِنَ الجَرَادِ
خَشْرَمٌ مِنَ النَّحْلِ.

وأما القسم الثاني من كتاب الثعالبي وهو سر العربية فيشبه كتاب الصاحبي في موضوعاته، بل إنه نقل فصولا كاملة منه نحو: (فصل في النحت)، (فصل في الإشباع والتوكيد) (فصل نظم للعرب لا يقوله غيرهم).

كتب على شاكلة فقه اللغة للثعالبي

المخصص لابن سيده

هناك من حذا حذوا الثعالبي، منهم من تابعه في المفهوم فقط و لم يؤلف كتاباً مثل ابن خلدون الذي لم يؤلف كتاباً في فقه اللغة ولكنه شرح مفهوم فقه اللغة قائلا: "ثم لما كانت العرب تضع الشيء لمعنى على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة بها فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الناس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب ومن الإنسان بالأزهر ومن

الغنم بالأملح حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها لحناً وخروجاً عن لسان العرب. واختص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبي."

وهناك من ألف كتاباً على طريقة الثعالبي ولكنه لم يسمه فقه اللغة وهو **ابن سيده** في كتاب **المخصص**، وهو أضخم قاموس موضوعي في العربية مؤلف من خمسة أجزاء ضخمة وقسم كل جزء إلى أسفار ذاكرا في كل سفر المفردات المتعلقة بموضوعاته الجزئية. ذكر في مقدمته هدفه من هذا المصنف: "تأملت ما ألفه القدماء في هذه اللسان المعربة الفصيحة وصنفوه لتقييد هذه اللغة المتشعبة الفسيحة فوجدتهم قد أورثونا بذلك فيها علوماً نفيسة جمة وافتقروا لنا منها قلباً خسيفةً غير ذمة إلا أني وجدت ذلك نشراً غير ملتئم ونثراً ليس بمنتظم إذ كان لا كتاب نعلمه إلا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه ثم إني لم أر لهم فيها كتاباً مشتملاً على جلها فضلاً عن كلها"

ترتيب المخصص: ثم ذكر السبب الذي دعاه إلى ترتيبه حسب الموضوعات قائلا: " و[أنا] مُبَيِّنٌ قبل ذلك لِمَ وضعته على غير التجنيس بأني لما وضعت كتابي الموسوم بالمُحكَم مُجَنَّسا لأدُلَّ الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة أردت أن أعدل به كتاباً أضعه مُبَوَّباً حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المدره والبليغ المُفَوَّه والخَطيب المصقع والشاعر المجيد المدقع فإنه إذا كانت للمسمى أسماء كثيرة وللموصوف أوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاءا واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافية على مثال ما نجده نحن في الجواهر المحسوسة كالبساتين تجمع أنواع الرياحين فإذا دخلها الإنسان أهوت يده إلى ما استحسنته حاستا نظره وشمه."

ثم بيّن ابن سيده مميزات منهج كتابه هذا فقال: "فأما فضائل هذا الكتاب من قبل كيفية وضعه فمنها تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات، والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير وتقديمنا كم على كيف وشدة المحافظة على التقييد والتحليل، مثال ذلك ما وصفته في صدر هذا لكتاب حين شرعت في القول على خلق الإنسان فبدأت بتنقله وتكونه شيئاً فشيئاً ثم أردفت بكلية جوهره ثم بطوائفه وهي الجواهر التي تأتلف منها كليته ثم ما يلحقه من العظم والصغر ثم الكيفيات كالألوان إلى ما يتبعها من الأعراض والخصال الحميدة والذميمة."

موضوع معجم المخصص: وفي نهاية مقدمته بين ابن سيده موضوع هذا المعجم الفريد: "وأما ما يشتمل عليه هذا الكتاب، فعلم اللسان... [وهو] في الجملة ضربان أحدهما: حفظ الألفاظ الدالة في كل لسان ... وذلك كقولنا طويل وقصير وعامل وعالم وجاهل والثاني: في علم قوانين

تلك الألفاظ ...، وتلك القوانين كالمقاييس التي يعلم بها المؤنث من المذكر والجمع من الواحد والممدود من المقصور والمقاييس التي تطرد عليها المصادر والأفعال ويبين بها المتعدي من غير المتعدي واللازم من غير اللازم وما يصل بحرف وغير حرف وما يقضي عليه بأنه أصل أو زائد أو مبدل وكالاستدلالات التي يعرف بها المقلوب والمحول والاتباع."

نسيم السحر لأبي منصور الثعالبي

هو كتيب في اللغة للثعالبي نفسه مرتب بحسب المعاني. وإليك نماذج من أقسامه:

تقسيم الجودة، تقسيم الطول، تقسيم اللين ، تقسيم الشدة، تقسيم الكثرة، تقسيم القلة، تقسيم السعة، تقسيم الأصوات، تقسيم الكسر.

وعن اختلاف المأوى باختلاف صاحبه يذكر: "وطن الإنسان، عطن الإبل، إصطبل الدواب، زرب الغنم، عرين الأسد، وِجار الذئب والضبع، كناس الظبي، قرية النمل، نافقاء اليربوع، كور الزنابير، خلية النحل، جحر الضب والحية، عش الطائر، أُدحيّ النعامة، أُفحوص القطاة.

كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لإبراهيم الطرابلسي بن الأجدابي

قال المؤلف في مقدمته: "هذا كتاب مختصر في اللغة وما يحتاج إليه من غريب الكلام ، أودعناه كثيرا من الأسماء والصفات وجنبناه حوشي الألفاظ واللغات وأعريناه من الشواهد ليسهل حفظه، ويقرب تناوله."

وقد رتبه على أربعين بابا. منها:

باب ألقاب الإنسان في أطوار حياته.

با في ألوان الخيل وشياتها.

باب في المحالّ والأبنية.

باب النبات .

باب في الأطعمة.

وقد شرحه أبو عبدالله الصميلي الفاسي، والمرتضي الزبيدي، ونظمه شعرا الخويي، وجمال الدين الطبري، وشمس الدين الهواري وغيرهم. وطبع النهاية عدة طبعات في مصر ولبنان وسوريا .

الإفصاح في فقه اللغة

الإفصاح معجم موضوعي (أي مرتب حسب موضوعاته) وضعه في عصرنا عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى. وقد أسس مؤلفاه مادته على مادة المخصص لابن سيده. ولأن

واضعيه أرادا منه معجما موضوعيا بحتا فقد قاما بحذف القسم الثاني من أقسام المخصص وهو المتعلق بالأمور الصرفية وهذا يعني حذف آخر الجزء الرابع وحذف الجزء الخامس من المخصص،. إضافة إلى ذلك اختصرا كثيرا من استطرادات ابن سيده، وأضافا في مواضع كثيرة مواد جديدة دخلت في معجم العربية الحديث. وظهر في مجلد واحد مما يقرب تناوله ويسهل استعماله.

اللغة وماهيتها

وسائل الاتصال غير الكلامية

برغم أن اللغة الصوتية هي الوسيلة الإنسانية الشائعة بين الأمم إلى حد أنه لم يثبت وجود شعب لا يستعمل اللغة الصوتية في الاتصال، إلا أن الإنسان يستخدم بجانب ذلك وسائل اتصالية غير كلامية، بعضها قد يصاحب الكلام وبعضها الآخر مستقل عنه.

(أ) **الملابس والأزياء:** وهي تستخدم للتعبير عن الأحوال النفسية كلبس الملابس البراقة والجديدة في الأعياد ومناسبات الزواج والفرح. وتُرتدى الملابس السوداء للتعبير عن الحزن على موت قريب أو صديق. وقد ترتدى ملابس خاصة في مناسبات دينية كارتداء الإزار والرداء في الحج. والملابس لها قيمة اجتماعية تنبيء عن انتماء الفرد إلى مجتمعه وتقاليده، وهي رمز للمحافظة، والتساهل فيها قد يكون مؤشرا للتمرد الاجتماعي. والملابس قد تنبئ عن وظيفة الفرد أو نوع نشاطه واهتماماته، فهناك ملابس خاصة للملوك والعسكر، وخدم المطاعم والفنادق، الأطباء والممرضين، وعمال الصيانة وغيرهم.

(ب) **الرسوم والصور:** لقد استخدم الإنسان الصور والرسم منذ عصور بعيدة جداً وقد وجدت على جدران الكهوف التي عاش فيها الإنسان القديم ودلت هذه الصور أنها لم تكن جمالية بحته وإنما كانت للاتصال وتبادل الرسائل مع أفراد جنسه. وفي عصرنا الحاضر أصبحت الصور لا غنى عنها في التعليم والإعلام. لذا يندر أن تخلو صحيفة أو مجلة منها. وأصبحت الصور التلفزيونية وخاصة الحية أقوى تعبيرا من الكلمة.

(جـــ) **الإشارات والإيماءات:** قيل إن الإنسان يستطيع أن يصنع آلاف الإشارات عن طريق استعماله لكافة حواسه و أطرافة، حتى إن Paget ذهب إلى القول بأن اللغة الإنسانية بدأت بحركات إشارية ثم تطورت إلى صيحات تطورت إلى كلمات تصاحب تلك الحركات، ثم أصبح الإنسان بعد ذلك يعتمد على الصوت أكثر من الإشارات. واللغة الإشارية تبدأ منذ مراحل الطفولة الأولى، فصغير البشر يقرأ الغضب في وجه أبيه والاستحسان في وجه أمه قبل أن يفقه كلمة واحدة. والإشارة ضرورية لإيضاح الاتصال الكلامي. إن الكلمات المكتوبة لا تنقل إلا ٧% من شعور الإنسان وموقفه، أما النطق فيرتفع فيه المردود إلى ٣٨%، في حين أن تعبيرات الجسم تقفز بالرقم إلى ٥٥%[١]. وقد وجد أولئك الذين حرموا نعمة السمع في اللغة الإشارية

١ خالص جلبي، "نشوء اللغة وتطورها"، الشرق الأوسط.

وسيلة تمكنهم من التعبير عن مشاعرهم وآرائهم. وقد أصبحت لغة الإشارة معترفا بها في كثير من دول العالم، يُنظر إليها على أنها اللغة الطبيعية الأم للأصم، بل لقد أصبح لدى المبدعين من الصم القدرة على إبداع قصائد شعرية ومقطوعات أدبية ، وترجمة الشعر الشفوي إلى هذه اللغة التي تعتمد على الإيقاع الحركي للجسد ولا سيما اليدين، فاليد وسيله رائعة للتعبير بالأصابع وتكويناها، يمكنه أن يضحك ويبكي ، أن يفرح ويغضب ، كما يمكنه الغناء والتمثيل باليد ، بدلا من الغناء والتمثيل الكلامي ، وقد أطلق أحدهم شعار "عينان للسماع."[٢]

(د) **النار والدخان:** استخدمت النار وسيلة للاتصال في المجتمعات القديمة، فالعربي يشعل النار ليبدي استعداده لاستقبال الضيوف، وقوة النار دليل على صدق كرم صاحبها وضعف النار أمارة على ضعف الجود والمروءة ، قال الشاعر يهجو:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار

وقد استخدم اليونان النار وسيلة للاتصال السريع أثناء الحروب، حتى قيل إن أخبار سقوط طروادة نقلت من بلاد الأناضول إلى أثينا عن طريق إشعال سلاسل من النيران. والدخان أيضاً يستخدم إشارة لطلب النجدة أو للإعلام بمواقع التائهين في الجبال أو الغابات. ويستخدمه الهنود الحمر للاتصال.

(هـ) **الطبول:** يقال "دقت طبول الحرب" لأنها كانت تستخدم بعضهم استخدمها وسائل للإنذار من عدو داهم أو للدعوة لحشد الجنود والجيوش والناس للحرب والغزو. وتستخدم الطبول أيضا لإشهار الزواج والفرح. و فرق الموسيقى في الجيوش الحديثة تعطى إشارات معينة باستخدام الطبل وبعض الآلات المزمارية والنحاسية لتنفيذ تشكيلات معينة أثناء الاستعراضات العسكرية.

(و) **البوق والصفارات والأجراس:** يستخدم اليهود البوق للدعوة إلى صلواتهم، وتدق الكنائس أجراسها لدعوة أتباعها. والبوق أيضا أداة للإنذار قال تعالى (فإذا نفخ في الصور)، ونحن اليوم نستخدمه في السيارات لتنبيه المارة أو تنبيه قائدي السيارات الأخرى إلى تجاوزاتهم المرورية. والجيوش الحديثة تستخدم الأبواق لإصدار إشارات عسكرية تتعلق ببعض التشكيلات والتحركات الميدانية، ويذكر أن الجيش الأمريكي يستخدم ٤٠ نوعاً من أصوات البوق كل منها له دلالة معينة. والصفارات أيضا تستخدم للاتصال عبر مسافات طويلة. ففي قرية Kusnoy كسنوي التركية يتبادل الناس الرسائل بواسطة الصفير بشكل ملفت للنظر، إلى درجة أنهم

٢ http://www.mym2.4mg.com/prog1.htm

يتبادلون الشتائم والسباب في شكل أنواع من الصفير. وسكان Gomera غوميرا في جزر الكناري عرفوا بإسرافهم في استخدام الصفير وسيلة للاتصال بينهم عبر مسافة بعيدة. والصفارة يستخدمها العسس للإنذار والإشعار بوجودهم. ويستخدمها رجال المرور لتنظيم حركة السيارات في مناطق الاختناقات وتقاطع الشوارع. وحكام الرياضة ومدربوها يستخدمونها لتنظيم بداية الألعاب ونهايتها أو للتنبيه إلى الأخطاء التي يرتكبها المشاركون في هذه الألعاب.

(ز) **أصوات غير لغوية:** هذه الأصوات تستخدم لزجر الحيوانات أو حثها. منها مثلا: ده، جَه، لزجر الإبل، إسّ، هِسّ هج لزجر الغنم، وكخ لزجر الطفل. وقد تستخدم هذه الأصوات للتعبير عن الألم، مثل أح، أخ، أو الحزن والأسف أوّه آه ...الخ.

أنظمة الاتصال عند الحيوانات والحشرات

وسائل الاتصال عند الطيور:

تصدر الطيور أصواتاً مختلفة، منها ما تستخدمه لتحذير بعضها البعض، ومنها ما تعبر به عن مرحها ولعبها، وتصدر ذكور الطيور أصواتاً، تحذر بها غيرها من الذكور من الاقتراب من أعشاشها. كما تصدر أسراب الطيور أصواتاً معينة، عندما تهم بالهجرة، فيجتمع الآخرون لدى سماع تلك الأصوات للاستعداد للرحيل. أما العصافير، فهناك زقزقة النداء، التي يحدثها الذكر لاجتذاب الأنثى عند التزاوج، وزقزقة التحذير التي تحذر العصافير بها بعضها البعض، عند اقتراب الأعداء.

ومن أعجب أساليب التفاهم، هو أسلوب الحديث، بين الطائر الذي يسمى "الهادي إلى العسل"، والحيوان المعروف باسم "آكل العسل". فالأول منها يحب أكل يرقات النحل حين تكون كالدود، وآكل العسل مغرم بالعسل. فنرى الهادي إلى العسل، يطير مطوفاً في أنحاء الغابة، باحثاً عن شجرة فيها خلية نحل، ثم يرتد مسرعاً إلى "آكل العسل"، فيحوم فوق رأسه، صارخا: "سِرْ، سِرْ" ليقوم آكل العسل فيتبع أثر الطائر. ولما كان هذا الحيوان في حماية من جلده الكثيف الشعر، فلا يضره لسع النحل، فهو يهجم على الخلية، ويمزقها إرباً، ثم يجتمع هو والطائر على هذه المائدة الشهية .

وسائل الاتصال عند الحشرات:

لقد عكف العلماء، على دراسة ما وصفوه بلغة النحل، ولغة الحشرات، وكانت خلاصة مشاهداتهم، ورصدهم لها كالتالي:

لغة النحل

لما كان العمل الذي تؤديه النحلة محدوداً، ألا وهو صناعة العسل، وجمع المواد الأولية اللازمة له، وما يتبع ذلك من أعمال، فإنها لم تكن بحاجة في لغتها إلى ما يعبر عن أكثر من هذه المعاني، ولذلك فإن أهم ما يحتويه ما يمكن أن نسميه "قاموس لغة التفاهم" بين النحل، هو مفردات، تصلح للتشجيع على جلب الرحيق، والدلالة على مكان وجوده. وفيما عدا ذلك، فإن بقية الأعمال داخل الخلية، تتم بصورة آلية. أما إذا ظهر عامل مفاجئ، كهجوم جسم غريب على الخلية، فتكفي الإشارة المعبرة عن ذلك. فالنحلة الجماعة للرحيق مثلاً، عندما تأتي إلى الخلية، وتفتح فمها، وتدلي لسانها على ذقنها، وتدفع نقطة الرحيق إلى قاعدة اللسان، بحيث تراها الشغالة، الصانعة للعسل؛ إنما تقف في وضع يغنيها عن الطلب من النحلات صانعة العسل، أن تأتي وتمتص الرحيق من فمها.

ولكن، كيف تكون اللغة بالنسبة للأمور التي هي أكثر تعقيداً؟ كالدلالة على بستان ممتلئ بالزهور، اكتشفته إحدى الشغالات؟ إن اللغة التي تستخدم هنا هي لغة الرقص، وهو نوعان:

أولاً : الرقص الدائري: إذا كانت المسافة التي تفصل مكان الرحيق، عن مكان الخلية لا تتجاوز خمسين مترا، فإن الشغالة تقف على أحد الأقراص الشمعية، وتقوم برقصات دائرية يميناً وشمالاً، ويراقبها باقي النحل، ثم يشاركها رقصاتها، ويدور معها حيث دارت، ثم يتجه الجميع مسرعين، لمغادرة الخلية والوصول إلى المكان الذي استمدت منه النحلة الأولى رحيقها. والشغالات يذهبن إلى المكان، وقد عرفنه جميعاً، دون أن يتبعن النحلة الأولى. والعجيب أن النحلة الراقصة لا تدل برقصها على المكان فحسب، بل إنها تعبر عن وفرة الرحيق، ومدى تركيز المواد السكرية فيه من خلال فترة الرقص، التي كلما ازدادت دل ذلك على زيادة كمية الرحيق، مما استدعى خروج عدد أوفر من الشغالات، يخرجن إلى ذلك النوع المحدد، ولا يضيعن الوقت في البحث بين الأنواع الأخرى.

ثانياً: الرقص الاهتزازي: عندما يكون مكان الرحيق أكثر من خمسين مترا، إلى ١١ كم، تستخدم النحلة السارحة، الرقص الاهتزازي، وهو عبارة عن لفات تتناقص كلما بعدت المسافة، بحيث تكون سبع لفات عندما تكون المسافة ٢٠٠ متر، وتكون ٤,٥ إذا كانت المسافة كيلومترا واحداً، بينما تكون لغتين إذا كانت المسافة ٦ كم .

ولغة الرقص تحدد الاتجاه كذلك، فإذا كان رأس الشغالة إلى أعلى أثناء الرقص، فمعنى ذلك أن الرحيق في اتجاه الشمس، وإذا كان رأس الشغالة إلى أسفل فالاتجاه مضاد للشمس، وإذا كان مائلاً بزاوية 60° فمعنى ذلك أن الرحيق على زاوية 60° على يسار الشمس، وهكذا .

تعتمد الحشرات على حواس الشم، والرؤية، والسمع، في تفاهمها واتصالها، حسب البيئة والظروف التي تعيش فيها. فالجراد يعتمد على الرؤية أكثر من أي حاسة أخرى، بينما غيره من الحشرات يعتمد على السمع، أو الشم، ويعتبر الرعاش، من الحشرات التي تعتمد على الرؤية أكثر من أي حاسة أخرى، حتى أن البعض يطلق على الرعاشات، حشرات التجسس.

أمّا لغة الإشارات، والألوان، فهي شائعة في كثير من الحشرات، فمثلاً حشرة الصرصور المدغشقري العملاق، نجد الذكر منه يستخدم خمسة أنواع من الإشارات، للدلالة على العداء أو الصداقة أو التناسل، أو الجوع، أو العطش، وكل إشارة لها معناها الذي تفهمه بقية أفراد النوع. أما الفراشات، فتستخدم إناثها الألوان، وتوزيعها بطريقة معينة، حينما تلمحها الذكور تتجه إليها مباشرة. وتستخدم الحشرة النارية لغة الإضاءة، حيث تقبع الأنثى بين الأعشاب ليلاً، وترسل ومضات صوتية كل سبع وخمس ثوان، ويبادلها الذكر ومضات أخرى، ثم يتم اللقاء عقب ذلك، وكذلك الحال في الذبابة النارية .

وهناك اللغة الكيماوية، والتي تسمى في بعض الأحيان لغة الرائحة، وهي تعتمد على بث روائح معينة، أو فرز مواد معينة، أطلق عليها العلماء، اسم الفيرمونات، وهي شائعة بين النمل، والنحل، وعديد من الحشرات حرشفية الأجنحة، مثل الفراشات. وتستخدم الفيرمونات، ليتم التعارف بين الأنواع، حيث تنتشر الفيرمونات في الجو، أو على سطح الماء. وكل مستعمرة لها رائحة خاصة، وفي خلايا النحل، مثلاً، عندما يوجد عابر سبيل، أو جنود من مستعمرة أخرى، لها رائحة مختلفة، فإنهم يتعرضون للمقاومة الشرسة. كذلك عندما يقترب غريب من مستعمرة النحل، تلسعه إحدى الشغالات، ثم بعد فترة قصيرة، تنضم مجموعات أخرى من الشغالات، تشاركن في الهجوم عليه، وذلك لأن الشغالة الأولى، قامت بإفراز رائحة خاصة، دلت الأخريات على وجود غرباء وأنهن لابد أن يسارعن بالمشاركة في التصدي له.

وهناك لغة اللمس: حيث نجد كثيراً من الحشرات، مزودة بشعيرات خاصة تكتشف بها الظروف المحيطة بها، وحيوان الأرضة، يستخدم شعيرات اللمس، للتعرف على الأماكن، مثل إجراء بناء أماكن خاصة لها. ونجد الذكر في ذبابة الفاكهة، يتعرف على الأنثى عن طريق اللمس.

وسائل الاتصال عند الحيوان

أورد كثير من العلماء المتخصصين، في علوم الحيوان، صوراً من أساليب التفاهم بين الحيوانات والطيور، ونختار أمثلة لبيان تلك الأساليب التالية:

اللغة المرئية، وذلك بأن يأتي الحيوان بمجموعة حركات، لها معناها عند بقية الحيوانات من جنسه، كهز الذيل، وتحريك قرون الاستشعار. فمثلاً الفيلة، تُحيِّي بعضها البعض، عند لقائها في الغابة برفع الخرطوم إلى أعلى، وبعد التعارف وتجاذب أطراف الحديث يودع بعضهم بعضاً برفع إحدى الساقين الأماميتين، والانحناء إلى الأمام قليلاً، والخراف تلعب ،وتمرح، وتتفاهم، أثناء اللعب بهز أذيالها بحركات مختلفة، وكذلك الكلاب .

المحادثة الصامتة، أو اللغة الكيماوية، وذلك عن طريق إنتاج روائح خاصة وبثها في الهواء، فمثلاً. في حالة حيوان الأرضة، يقف الحراس عند باب مملكتهم، وعند دنو خطر ما من باب المستعمرة، يقوم هؤلاء الحراس، بإفراز مادة كيماوية، لها رائحة مميزة، فيقوم باقي الأفراد بالاستعداد للدفاع.

والذئب إذا زاد طعامه عن حاجته، دفن جزءاً منه في التراب، وخلف هناك شيئاً من رائحته، عالقاً بالمكان، فيفهم سائر الذئاب فحوى رسالته حق الفهم. والكلاب كذلك تدور بينها أحاديث لا تنقطع عن طريق الشم .

اللغة المسموعة، وذلك عن طريق موجات الصوت، التي تنتقل في الهواء، أو تحت الماء بين الأسماك، لتحذر بعضها البعض، عند حدوث الأخطار. فأسراب الأسماك في البحار والمحيطات، تقوم بإصدار تلك الأصوات، عن طريق مثانات هوائية، بداخل أجسامها، وتعمل هذه المثانات عمل الطبول. هذا إلى جانب حركات وإشارات، تعتمد عليها الأسماك خصوصاً في مواسم التزاوج.[٣] والدلفين ينتج أنواعاً من النباح والصفير والطقطقه وأصوات فوق صوتية وتحت صوتية لا تستطيع الأذن الإنسانية سماعها.

والضفادع زودها الله بأكياس تحت ذقونها، تملؤها بالهواء، وعند مرور هذا الهواء، فإنه يصطدم بالحبال الصوتية، محدثاً "النقيق"، كأسلوب للتفاهم بين الضفادع.

وأمّا الحصان، فإن الأم تصدر صوتها، "الصهيل"، فنرى صغارها تسرع إليها على الفور.

٣ موسوعة مقاتل، "لغات" http://www.moqatel.com

والدببة كذلك، تتحدث فيما بينها، ونرى الدبة الأم عند دنو خطر ما، تأمر صغارها بالهرب، وتسلق الأشجار ليكونوا في مأمن من الأعداء، ثم إذا شعرت بالأمان، ضربت بكفها جذع الشجرة، فيسرع صغارها بالنزول. كما تصدر القردة أصواتاً متنوعة، ويجتمع أفرادها، يتجاذبون الحديث بهذه الأصوات .

هذا دفع عدداً من علماء النفس واللغة إلى محاولة تعليم اللغة الإنسانية لبعض الحيوانات وكان التركيز على الشمبانزي فقاموا بمحاولة تعليمة:

لقد حاولوا أن يعلموه ألفاظاً ينطقها لكن التقارير تقول إنه تعلم معاني عددا من الكلمات لكنه فشل في النطق بها لأن تركيب فكيه لا يسمح له بنطق أصوات إنسانية.

فعمدوا إلى تعليم قردة لغة الإشارة وذكر إنهم استطاعوا أن يعلموها ما يقارب مئة كلمة، وزعم أنها أصبحت تركب جملاً بسيطة من الإشارات، بل ذهبوا إلى القول بأنها اخترعت كلمات وإشارات من ذاتها.

وحاول آخرون أن يعلموا قردا كلمات عن طريق الأشكال ولاستبعاد عامل المحاكاة حاولوا أن لا تكون هناك علاقة محاكية بين الشكل والمعنى وزعموا أنه تعلم عدداً من الكلمات وأنتج عن طريقها عددا من التركيبات.

وقد شكك بعض العلماء في هذه التجارب قائلين إنها تقوم لا تقوم بذلك طواعية بسبب التقليد أو الترغيب أو الرهبة.

الفرق بين اللغة الإنسانية ووسائل الاتصال عند الحيوان

ليس بين الحيوانات والحشرات من يظهر استخداما مقصودا وذكيا للرموز والإشارات كما نرى في النشاط اللغوي الإنساني.

يقول **كلاينبيرغ** Klineberg إن الفرق الجوهري بين لغة الإنسان ووسائل الاتصال غير البشرية هو أن الحيوانات والحشرات لا تستطيع التعبير إلا عما هو حاضر وآني، لأنها تصدرها على أنها رد فعل لحالة انفعالية حاضرة ولا تفيد معان رمزية أو مجردة. لذا فالإنسان فريد في المملكة الحيوانية لامتلاكه لهذه الوسيلة التي استطاع بها أن يحرر نفسه من سجن الحاضر.

ويقول **فندريس** Vedryes: إن الحيوان لا يستخدم الصوت علامة لشئ آخر كما يستخدمه الإنسان، وإنما يستخدمه ردة فعل انعكاسية. وهناك فرق بين استخدام الصوت علامة وبين

استخدامه ردة فعل لأن الأول يمكن التعبير به عن الأشياء في حال غيابها، وأما الثاني فتعبير مرتبط بالحاضر ويقابل حالات نفسية خاصة من فرح ورعب ورغبة.[٤]

ويبين **نوعام تشومسكي** Noam Chomsky اللغوي والنحوي المشهور: إن هناك منطقة خاصة باللغة في مخ الإنسان وهي جزء من التركيبة الوراثية له، وهي كما يبدو وراء القدرة على استغلال مجموعة محدودة من القواعد لتأليف ما لنهاية له من الجمل، الأمر الذي لا نجده عند أي جنس من المخلوقات الأخرى. ويعتقد تشومسكي أن هذه الخاصية هي الأمر المهم عند المقارنة بين وسائل الاتصال عند الإنسان وتلك التي نجدها عند الحيوان.

استخدام الصوت وسيلة للاتصال بدلاً من الإشارة وغيرها

يقول فخر الدين الرازي كان يمكن للناس أن يستعملوا غير الصوت للتعبير، كالحركات المخصوصة بأعضاء الجسم، ولكنهم وجدوا الأصوات المتقطعة أولى من غيرها لوجوه:

١- إدخال الصوت إلى الوجود أسهل من إدخال غيره لأنه يتولد في كيفية مخصوصة قي إخراج النفس وذلك أمر ضروري فصرف ذلك الضروري إلى وجه ينتفع به أولى من تكلف طريق آخر قد يشق على الإنسان الإتيان به.

٢- الصوت كما يدخل في الوجود بسهولة ينقضي بمجرد استعماله وأما سائر الأمور الأخرى فإنها قد تبقى، وربما يطلع عليها من لا يراد إطلاعه عليها.

٣- الصوت قابل للإشارة إلى المعدوم والغائب وغير المرئي وأما الإشارة فإنها قاصرة عن ذلك.

٤- الصوت يمكن الإشارة به إلى المعاني المتعددة المرتبطة بشيء واحد، فيمكن الإشارة إلى لون التفاحة أو طعمها بينما يتعذر ذلك بالإشارة.

٤- الصوت يمكن استعماله في الظلام ومن وراء حجاب بينما الإشارة لا يمكن استخدامها إلا مع وجود النور وإمكان الرؤية.

ويمكننا أن نضيف إلى ما تقدم بأن الإنسان القديم كان مهدداً بأنواع من المهالك والأخطار من حيوانات وحشرات التي كان أكثرها تدب في الليالي الحوالك وكان يحتاج إلى وسيله اتصال تمكنه من طلب النجدة والعون فلو كان لا يستخدم الصوت وهو في أمس الحاجة إلى الاتصال

٤ فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، ٣٦.

لانقرض النوع الإنساني منذ زمن بعيد، أي إن امتلاك اللغة الصوتية كان أحد أسباب استمراره وبقائه.

تعريفات اللغة

ابن جني: عُرف العرب في علومهم باهتمامهم بالتعريف والحد ولكننا لا نجد تعريفا للغة قبل القرن الرابع الهجري عندما عرفها ابن جني في خصائصه قائلا: هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم .

وذكر أنها أصلها لغوة ككرة وقلة وثُبَة كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرة وقلوت بالقلة، وقيل منها لغِي يلغي اذا هذي ومصدره اللغا. وكذلك اللغو قال تعالى (وإذا مروا باللغو مروا كراما) أي بالباطل وفي الحديث من قال في الجمعة صه فقد لغا أي تكلم.

وعرفها **ابن خلدون** في مقدمته: " اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده."

و**ابن الحاجب**: كل لفظ وضع لمعنى. وابن الحاجب هنا يساوي اللغة بمفردات اللغة.

وقد حاول تعريف اللغة مئات العلماء من اجتماعيين وفلاسفة ولغويين، ومن أفضل تعريفاتها تلك التي قدمها:

فندريس Vedryes: إن أعم تعريف للغة هي "أنها نظام من العلامات." هذا التعريف يخرج الأصوات التي ينتجها الحيوان لأن الفارق بين لغة الإنسان والحيوان أن الحيوان لا يستخدم الصوت علامة، ولكن هذا تعريف عام لأنه ليس كل نظام من العلامات يعتبر لغة. فالإشارات المرورية الضوئية نظام ولكنها ليست بلغة، وكذلك الإشارات الموسيقية وما أشبهها، وقد أغفل من التعريف أهم سمات اللغة وهي مادتها الصوتية.

سابير Sapir: أنثربولوجي ولغوي معروف، وضع تعريفاً للغة على النحو التالي: "اللغة وسيلة إنسانية محضة وغير غريزية لإيصال الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من الإشارات المقصودة". يخرج هذا التعريف أصوات الحيوانات والأصوات غير الكلامية التي يصدرها الإنسان، كالبكاء والسعال و"آه" و "أوّه" و"أف" وغيرها لأنها ليست أجزاء من نظام وبعضها غير مقصودة مثل الضحك والبكاء والسعال.

كاتز Katz: اللغة: "وسيلة للاتصال ذات عناصر مركبة نحوياً وموجدة صوتياً لنقل رسائل مفيدة من متكلم إلى آخر." هذا التعريف يأخذ في الاعتبار النظريات والآراء التي أصبحت متداولة في هذا الحقل وخاصة نظريات دي سوسير. فقد ميز أمرين مهمين في اللغة (١) النظام اللغوي

وهو القواعد النحوية والصرفية والمعجمية الفطري منها والمكتسب المخزونة بالذاكرة، (٢) استعمال هذه القواعد وهذا النظام لإنتاج رسائل مسموعة .

سمات اللغة الإنسانية وخصائصها

للغة الإنسانية خصائص وسمات تميزها عن غيرها من وسائل الاتصال سواء الإنسانية الأخرى أو الحيوانية، وقد ذكر علماء اللغة منها:

١- **الاصطلاحية:** وتعني عدم وجود علاقة مفروضة بين الكلمة ومعناها. ربما يكون هناك محاكاة صوتية في بعض الكلمات ولكنها ليست إجبارية ولا نستفيد المعنى بناء على تلك المحاكاة. إن اللغة لها الحرية في وضع أي لفظ لأي معنى بشرط أن يصطلح عليه أهل اللغة. وهذه الخاصية لها تأثير كبير في إثراء اللغة ومرونتها ولو كانت علاقة المحاكاة مشروطة لأصبح الإنسان مقيداً واللغة مكبلة ولعجزنا عن وضع كلمات محاكية لمعان كثيرة. ولغة الحيوانات ليست اصطلاحية لأنها تولد وهي مزودة بنظام اتصال غريزي. لذا نظامها جامد وهذا يترتب عليه صغر النظام وجموده.

٢- **الازدواجية** : (تعدد المستويات) نظام الاتصال عند الإنسان مكون من عدد من المستويات:

(أ) المستوى الأول، وهو المستوى الصوتي (في العربية ٢٨ حرفا، و٣ حركات قصيرة، و ٣ حركات طويلة، ليصبح المجموع ٣٤ صوتا.

(ب) المستوى الثاني وهو المستوى المعجمي والصرفي وهو الذي نستطيع به إيجاد مئات الآلاف من الكلمات المركبة من عناصر المستوى الأول.

(ج) المستوى الثالث، وهو المستوى النحوي، الذي يمكننا عن طريق استخدام عناصر المستوى السابق ووفق قواعد معينة إنتاج ما لانهاية له من العلامات في شكل جمل.

٣- **الإنتاجية:** وهي أوضح سمات اللغة الإنسانية. هذه الخاصية هي التي تجعل الإنسان قادرا، بواسطة قواعد محدودة ومخزون ضخم من العلامات، على إنتاج عدد غير محدود من الجمل و فهم عدد لانهائي منها حتى وإن لم يكن قد سمعها من قبل. بينما الحيوان لا ينتج من الرسائل إلا ما هو موجود في نظامه الاتصالي. هذه الميزة جعلت اللغة الإنسانية متكيفة مع الظروف والأحوال، بعكس الحيوان فنظامه مغلق جامد غير متكيف ومما يثبت ذلك التجربة التي قام بها فريش الذي كان معجبا بنظام الاتصال عند النحل، ولكن تجربة معينة قام بها جعلته يكتشف أن نظام الاتصال عند النحل نظام لا يتمتع بالإنتاجية والابتكار ولا يستطيع التكيف مع الظروف والمتغيرات.

لقد قام الألماني Frisch فريش بوضع خلية نحل تحت برج للاتصالات وأخذ من هذه الخلية عشر نحلات أطلعها على رحيق وضعه في أعلى البرج ثم أطلقها لتعود تخبر بقية الخلية عن جهة الغذاء وبعد مسافته. عادت النحلات إلى الخلية. بعد ذلك رأى عجباً لقد انطلق النحل من الخلية وأصبح يدور حول البرج مدة أربع ساعات و لم تصعد نحلة واحدة إلى الرحيق فأستغرب ذلك ووصل به تحليله إلى أن نظام الاتصال عند النحل نظام جامد غير متكيف مع الأحوال، لأن هذا النظام ليس به علامات تشير إلى "فوق" و"تحت." فعجز أن يتخطى هذه العقبة ويطور هذا النظام كما يصنع الإنسان.

٤- **إمكانية الإشارة إلى البعيد:** استخدام الإنسان للصوت علامة مكنه من الخروج من سجن الحاضر فأصبح يستطيع أن يشير إلى البعيد زمانا أو مكانا. فهو قادر على الإشارة إلى أشياء تبعد عنه آلاف الأميال كبرج أيفل ، سور الصين، الأهرام ، ومرتفعات الهملايا ...الخ، وأن يتحدث عن أمور حدثت منذ قرون كمعركة ذي قار وبدر وحطين وهي بعيدة زماناً ومكاناً. أما الحيوان فهو مسجون في الحاضر لا يستطيع التعبير إلا عما هو آني وواقع.

٥- **إمكانية المراجعة:** بإمكان الإنسان أن يؤلف كلاماً من عنده وأن يراجع ويتفقد درجات وضوحه أو غموضه ويدقق فيها وأن يعدل فيه ويحسن من صورته وجماله بعكس الحيوان الذي لا يستطيع أن يفكر في رسائله الاتصالية لأنها جاهزة سلفا وجامدة وغير قابلة للتغيير.

٦- **التعبير عن اللاحسي،** أي المجرد والمعنوي والوهمي والغيبي. فهناك كلمات تدل على الجنس لا الفرد مثل أسد، بقرة، كرسي، وهناك كلمات تدل على أمور معنوية نحو الصدق والكرم، وأخرى تدل على أمور غيبية كالملائكة والجنة وجهنم، أو وهمية نحو الرخ والغول وعروس البحر والسعلاة.

٧- **التوريث الثقافي لا التوريث النوعي** : نحن نعلم صغارنا اللغة عن طريق التلقين والاحتكاك، وإن لم يعيشوا بيننا وعاشوا في مجتمعات لغوية أخرى نجدهم يتعلمون لغة تلك المجتمعات. هذا هو التوريث الثقافي. أما التوريث النوعي فهو ما نلمسه عند الحيوان، فصغاره تولد وهي مزودة بنظام الاتصال عند نوعها.

اللغة والكلام

يفرق علماء اللغة المحدثون بين طبيعتين للغة الإنسانية هما: اللغة (النظام اللغوي) language والكلام speech. ويعود الفضل في هذا التفريق بينهما إلى عالم اللغة السويسري دي سوسير ، الذي يقول للغة وجهان (أي وجهان لعملة واحدة): هما ١- اللغة (النظام اللغوي) ٢-الكلام، وبين الاثنين فروق:

اللغة (النظام اللغوي)	الكلام
١- نظام من الإشارات مخزون في الذاكرة.	١- استخدام تلك الإشارات لفهم رسالة أو لإنتاجها بواسطة شخص معين في مكان وزمان معينين.
٢- اللغة موجودة في حالة من الإمكان أي وجود بالقوة لأنها غير متحققة على الواقع وإذا تحققت أصبحت كلاماً. والمخزون في الذاكرة هو انطباعات الأصوات الناتجة عن حركة أعضاء النطق أو اهتزاز طبلة الأذن. بالإضافة إلى قدرات فطرية وقواعد صرفية ونحوية ومخزون من المفردات.	٢- الكلام إيجاد بالفعل.
٣- اللغة تسمو فوق الفرد، إنها ملك للمجتمع الذي اختار هذا النظام للتفاهم بين أفراده. ولا يمكن أن تكون أداة اتصال إلا إذا كان يمتلكها جميع أفراد المجتمع الكلامي.	٣- الكلام استخدام اللغة من قبل شخص معين، أي إنه فعل فردي.
٤-اللغة يتلقاها الفرد بشكل سلبي منذ صغره وحتى شيخوخته ولا يملك من أمرها شيئاً ولا يستطيع أن يغير فيها شيئاً.	٤- الفرد سيد كلامه، له الحق في الكلام أو السكوت. له الخيار في استخدام أساليب بلاغية في حدود قواعد اللغة وله الحق في تأليف الكلام حسب المقام ومقتضى الحال. ويمكنه الجهر بكلامه أو الهمس به.
٥- اللغة ثابتة ذات طبيعة جامدة لأنها قواعد محفوظة في الذاكرة بحسب طبيعتها العقلية السيكولوجية.	٥- الكلام ذو طبيعة متلاشية فبمجرد انتهائك لفظ عبارة ما ينتهي الكلام بحكم طبيعته الفيزيائية غير الباقية.
٦- اللغة ذات طبيعة سيكولوجية نفسية لأنها قواعد مخزونه في الذاكرة.	٦- الكلام ذو طبيعة سيكولوجية (نفسية) لأنه علامات مرتبطة بمعان معينة، وذو طبيعة فيزيائية (طبيعية) لأنه صوت يستقبل بالحواس السمعية وله موجات يمكن أن تقاس.

الكفاية والأداء

فرق تشومسكي اعتماداً على آراء دي سوسير في اللغة والكلام بين نوعين من القدرات اللغوية، هما الكفاية competence و الأداء performance والفرق بين تصوري الرجلين هو أن

دي سوسير يرى الكفاية اللغوية مخزونة في العقل الجمعي وأما تشومسكي فيرى أنها مخزونة في عقل الفرد.

المقدرة اللغوية (الكفاية)	الأداء اللغوي
الكفاية هي القواعد التي يمتلكها الشخص عن لغته وهي إما (١) قوالب وقدرات فطرية يولد الشخص مزودا بها أو (٢) قواعد صوتية ونحوية اكتسبها من خلال احتكاكه بأفراد مجتمع كلامي معين.	استخدام القدرة اللغوية في موقف معين بواسطة متكلم معين. والأداء يتأثر بالظروف المصاحبة للكلام كالتعب والضوضاء والدواعي الأسلوبية والجمالية للكلام.

الفرق بين الجملة والتعبير

التفريق بين الكفاية والأداء يؤدي إلى التمييز بين الجملة sentence المرتبطة بقواعد الكفاية و التعبير utterance المتعلق بالأداء.

الفرق يين الكلمة واللفظ

الجملة	التعبير
١) هي هيآت مجردة وقواعد مخزونه في الذاكرة. ٢) جزء من النظام اللغوي ٣) بعض الجمل قد لا يتحقق كتعبير مقبول نحو: "دارك تحترق مع أني لا أعتقد ذلك." ٤) الجملة غير مرتبطة بزمن معين أو مكان أو ظرف محدد.	١- حدث كلامي معين. ٢-جزء من الأداء. ٣-التعبيرات المقبولة لا يعني بالضرورة أنها تحقق كامل للجمل النحوية الصحيحة. ٤-مرتبط بزمان معين وشخص معين.

وظائف اللغة

ليس للغة وظيفة واحدة، فهناك وظائف كثيرة بعضها يمكن تمييزه وكثير ربما يكون غامضا، تبعا للقصد من الكلام والظروف التي قيل فيها. وهذه الوظائف ربما تكون أكثر وضوحاً عندما نربطها بكيفية نقل الرسالة من متكلم إلى آخر. فعند أي محادثة يوجد هناك دائماً عدد من العناصر المؤلفة لظروف الكلام .

١- المتكلم: وهو المرسل

٢- المخاطب: وهو المتلقي وقد يكون معينا أو غير معين.

٣- قناة: متخيلة أو حقيقية.

٤- رسالة : ترسل عبر القناة وهذه الرسالة تحمل موضوعاً.

٥- موضوع: تحمله الرسالة.

ووظائف اللغة ترتبط بهذه العناصر وتختلف باختلافها وقوة التركيز على أيّ منها دون الأخريات.

١-**الوظيفة التعبيرية:** هي استخدام اللغة للتعبير عن مشاعر المتكلم وعواطفه ومواقفه من الآخرين والحالات الراهنة. ويكون التركيز فيها على المرسل. تتميز اللغة هنا: (١) بالتعبير عن المشاعر والاعتماد على الكلمات التقييمية مثل: هذا أمر قبيح (القبح أمر نسبي)، فلان خائن، هو شهم. (٢) استخدام الكلمات الإيحائية، مثلاً: وجب جهاد العدو الصهيوني. وقام مجموعة من المجاهدين الفلسطينيين باقتحام مركز للعدو الصهيوني في عملية استشهادية. فالكلمات التي تحتها خط تنبيء عن موقف المتكلم لقيمتها الإيحائية، ولكن لو قيل قام مجموعة من الشبان الفلسطينيين باقتحام مركز إسرائيلي في عملية هجومية فإن هذه الجملة غير تعبيرية لأنها تخلو من التعبيرات التي توحي بموقف المتكلم.

وتستخدم الوظيفة التعبيرية في مواقف معينة مثل الشجب والاستنكار والاعتذار والشكر والمدح والتعزية والتعجب.

٢- **الوظيفة العملية:** هي استخدم اللغة مقام الفعل، وهذا يظهر في عبارات إمضاء العقود والمعاملات والزواج والطلاق وإصدار الأحكام والتسمية. نحو قولك: زوجتك بنتي فلانة، أو:

وهبتك هذه الدار، وأنت طالق. فهذه العبارات تقوم مقام الفعل ويترتب عليها أمور قضائية ودينية واحتماعية.

٣- **الوظيفة الاجتماعية**: هي التي يراد منها فتح قنوات الاتصال بين الناس وتوثيق الصلات بينهم. هذه الوظيفة ليس الهدف منها نقل المعلومة بالدرجة الأولى بل توثيق الروابط الاجتماعية، فالإنسان مخلوق اجتماعي بطبعة يكره الصمت ويفضل التواصل، لذلك لا بد أن يستخدم هذه الوسيلة لتحقيق ذلك. وهذا يتأتى من خلال ثلاثة أمور:

١- فتح قنوات الاتصال بينه وبين الآخرين، ويكون ذلك عن طريق: (أ) عدد من أساليب التحية (ب) السؤال عن الطقس والأحوال المعيشية، (جـــ) الكلام عن الظرف أو الحال الراهنة التي يوجد فيها مع غيره.

٢- المحافظة على سلامة القناة الاجتماعية عن طريق تشجيع المتكلم على الحديث أو حثه على الاستماع.

٣- إغلاق قناة الاتصال بطريقة مقبولة اجتماعياً مثل "سلم لي على والدك" أو "هل توصينا بخدمة،" أو "أستأذنك الآن،" "مع السلامة".

٤- الوظيفة الإعلامية: وهي استخدام اللغة لنقل الحقائق ووصف الوقائع بطريقة موضوعية مجردة عن الرأي الشخصي والانفعالي للمتكلم، في مثل قولنا: (قام مجموعة من الشبان الفلسطينيين بمرمي مجموعة من الجنود الإسرائليين بالحجارة) فهذه الجملة يغلب عليها الطابع الموضوعي الحيادي. وكثيرا ما تبرز هذه الوظيفة في الأخبار الصحفية وفي الشهادات القضائية. وتظهر أيضا في اللغة الإرشادية ولغة العلوم والتاريخ والقانون.

٥- الوظيفة الجمالية: تتضح هذه الوظيفة في الفنون الأدبية كالشعر والقصة والمسرحية. ففي هذه الفنون يكون الاحتفاء بشكل الرسالة وجمالها أكثر بروزا من موضوعها. ففي القصيدة مثلا يكون الاهتمام بالوزن والقافية والصور الشعرية والمحسنات البديعية إلى درجة قد تؤدي إلى التساهل في النواحي النحوية والصرفية.

٦- الوظيفة التوجيهية (التأثيرية): هي استخدام اللغة للتأثير في سلوك الآخرين ومواقفهم وآرائهم. ومن أبسط مظاهر الوظيفة التوجيهية: الأمر والنهي والإغراء والتحضيض.

ولكن هناك طرق معقدة للتأثير نراها في الخطب الدينية والسياسية، وفي الدعاية والإعلان، حيث تستخدم جماليات اللغة وتستغل العواطف والغرائز للتأثير في المتلقين. وقد أصبح الإعلان

صناعة معقدة تتظافر فيها جهود كثير من علماء الاجتماع والنفس واللغة لصنع إعلان واحد، انظر استخدام اللغة والأحوال النفسية في الأمثلة التالية:"نيسان على كل لسان"، وإعلان تويوتا: "معنا للحياة معنى،" و "ضماني في أماني"

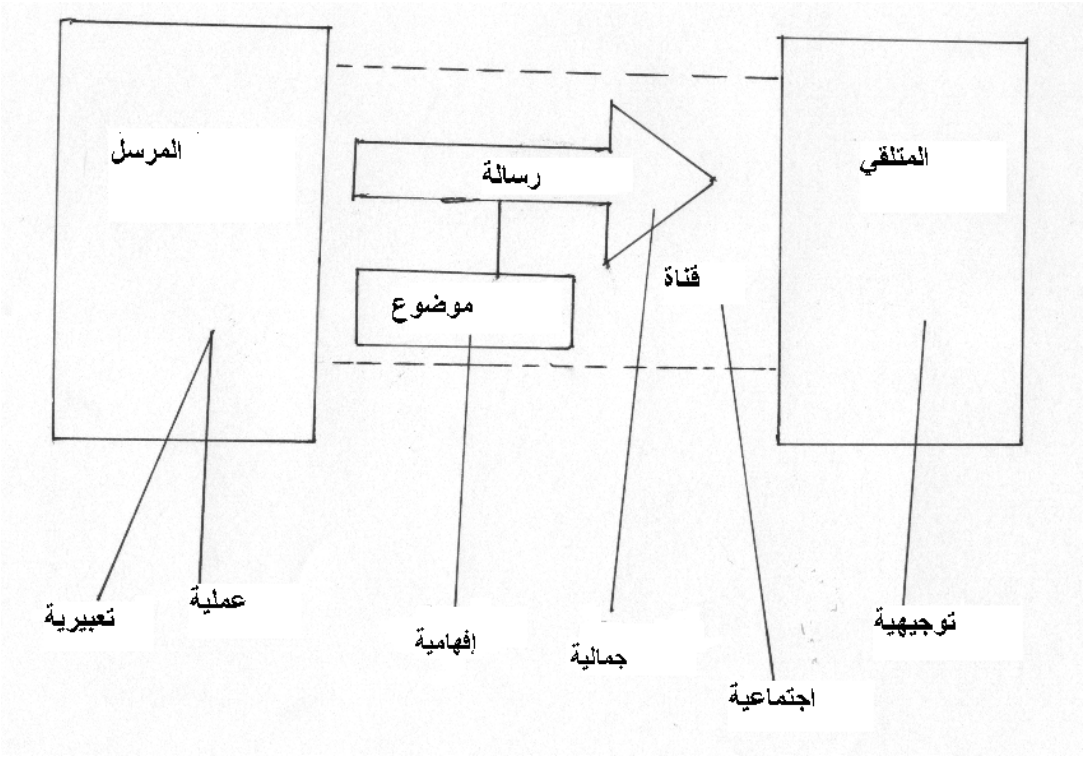

بداية اللغة

التجارب الملكية:

لقد شغلت لغز بداية اللغة عقول المفكرين واللغويين وحتى الملوك والسلاطين، الذين حاولوا الوصول إلى جواب شاف لهذا السؤال المحير بسلوك أسهل الطرق في نظرهم فقاموا، بما خولوا من سلطان، بالقيام بتجارب غير إنسانية على الأطفال لمعرفة أي اللغات كانت هي الأصل. وهذه التجارب اصطلح عليها فيما بعد بالتجارب الملكية.

١- تجربة **الملك الفرعوني** Psammetichus (بيسماتيكوس): يروي المؤرخ اليوناني Herodotus هيرودوتس أن بيسماتيكوس أمر بعزل مجموعة من الأطفال حديثي الولادة في مكان بعيد عن العمران وأن لا يسمح لهم بالاختلاط بأي شخص وأن تمنع عنهم جميع الأصوات، وكان هدفه أن يعرف بأي لغة سيتكلم هؤلاء الأطفال وهل بوسعهم أن يتكلموا من ذات أنفسهم بهذه اللغة. ويقول الذين رووا التجربة أن الأطفال قد بدءوا الكلام وكانت الكلمة الأولى التي لفظوها هي *bekos* وقد كان الملك يتوقع أن يبدءوا الكلام باللغة الفرعونية ولكنه فوجئ بنطق كلمة غريبة، فسأل عن أصلها فأخبر بأنها فريجية، وهي لغة كانت منتشرة في بلاد الأناضول وأنها تعني "الخبز،" فاعتبر الملك أن الفريجية هي أصل اللغات كلها. لكننا لا نثق بهذه التجربة لأننا لا ندري هل عزل الأطفال تماماً وهل فعلا نطقوا كلمة *bekos* ، أو أن الأمر كان مجرد توهم، كذلك هناك احتمال أن الأطفال بدءوا لغة جديدة لا تشبه لغة سابقة وكان من مفرداتها هذه الكلمة التي ربما أشبهت بصورة أو بأخرى الفريجية ولكن هذا لا يعني أنهم نطقوها على أنها جزء من اللغة الفريجية.

٢-تجربة **فريدريك الثاني** Frederick II في مطلع القرن الثاني عشر: في الواقع نحن لا ندري هل سمع عن التجربة الماضية أم لا، ولكن على أي حال أمر هذا الملك بعزل مجموعة من الأطفال في مكان بعيد ومنع المربين من محادثتهم ليرى هل سيتكلمون من ذات أنفسهم وبأي لغة سيتكلمون، ولكن هذه التجربة باءت بالفشل الذريع لأن الأطفال ماتوا قبل أن ينبسوا بكلمة .

٣- تجربة **جيمس الرابع** James IV of Scotland: ملك اسكتلندا في القرن السادس عشر الميلادي (1473-1513) الذي أمر بعزل مجموعة من الأطفال ليعرف هل سيبدءون الكلام باللغة من ذات أنفسهم، وما هي تلك اللغة. وقد ادعى في نهاية التجربة أن هؤلاء الأطفال بدءوا الكلام فطرياً بلغة عبرية فصيحة. ولا شك أن هذه النتيجة كانت ملفقة لأنها بواعثها كانت أفكارا دينية

مبيته، فهذا الملك أراد أن يثبت المقولة المسيحية التي تزعم بأن العبرية هي أم اللغات وهي لغة آدم ولغة أهل الجنة.

الحالات الموثقة

إن أقوى دليل للرد على مزاعم التجارب الملكية هو دراسة الحالات الحقيقية لأطفال وجدوا معزولين وحرموا من الاحتكاك بالبشر أو سماع لغاتهم، وقد بلغ عدد حالات الأطفال المتوحشين الذين حضنتهم الحيوانات ٣٦ حالة لم يوجد بينها من يتكلم لغة إنسانية. ومن هذه الحالات الموثقة حالة:

١- **فيكتور** Victor الفرنسي: وُجد هذا الفتى في إحدى غابات فرنسا يعيش بين الحيوانات، وعند القبض عليه وجد أنه لا يمتلك أي لغة. وكان عمره ١٢ سنة، وأدخل مدرسة للصم مع أنه لم يكن أصما. وسماه الذين تعهدوا حضانته (فيكتور). وقد عُهد به إلى طبيب فرنسي Itard ليعلمه اللغة ولم يستطع أن يتعلم إلا جملا قليلة مختلة التراكيب. وبعد محاولات كثيرة أعلن هذا الطبيب فشله، وتنصل من هذه المسؤولية، وتركة عند خادمته حتى مات.

٢- الطفلة الأمريكية **جيني** Genie: وهي فتاة حبسها أبوها بعيداً عن الناس ولم تختلط بأحد من البشر حتى وصل عمرها ١٣سنة. وقد وصل خبرها إلى السلطات الأمريكية التي حجرتها من عزلتها. ووجد أنها لا تتكلم أي لغة. وقد وجد علماء اللغة والنفس فرصة لفحص الأفكار والنظريات اللغوية السائدة، وقد حاول كثيرون أن يعلموها اللغة الإنجليزية ولكنهم لم يستطيعوا أن يعلموها إلا ألفاظاً قليلة ولم تستطع أن تتقن تراكيب الجمل بشكل طبيعي. وقد تنقلت بين العلماء وبيوت الرعاية، وفي النهاية انقطعت أخبارها ولم تعد محط اهتمام الباحثين.

٣- **طفل صحراء حلوان:** هذا غلام عثر عليه في صحراء حلوان بين قطيع من الغزلان، وسمع بعد أن قبض عليه يصيح بأصوات غير مفهومه. وقد ذكر إبراهيم أنيس أنه زاره في أحد الملاجئ بعد شهور من العثور عليه وظهر له أنه يتكلم بكلمات متقطعة غير مفهومة استمدها ولا شك ممن حوله، وكان يتعثر في النطق بها كأنه طفل في السنة الثانية من عمره.[٥]

٤- **طفلا كوبنهاجن:** يروي يسبيرسون أن طفلين نشأا في كوبنهاجن توأمين مع أمهما التي أهملتهما بشكل شائن، فشبا منعزلين عن الناس زمنا ما. ثم كان أن مرضت الأم وأودعت المستشفى تاركة طفليها في رعاية عمة لهما صماء بكماء. وقد سُمع هذا الطفلان يتكلمان لغة

٥ إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، ص ٣٠-٣١.

غريبة، وقد سمع يسبيرسون هذه اللغة ودرس مفرداتها ووجد أنها تتصل بلغة البيئة غير أنها كانت ممسوخة حذف منها أصوات وعوض عنها بأخرى، كما وجد أن بعض كلماتها مما يمكن أن يُعد صدى لأصوات الطبيعة.

القيمة العلمية لدراسة الحالات الموثقة:

قيمة هذه الحالات الموثقة هي أنها:

١- تبطل دعاوى التجارب الملكية لأن هؤلاء الأطفال في الحالات السابقة، رقم ١، ٢، ٣، وجدوا لا يمتلكون لغة إنسانية. وهذا يبدو عائد إلى كون الطفل وحيدا في كل من هذه الحالات فلم يكن هناك حاجة إلى إنتاج لغة.

٢- أيدت هذه الحالات الرأي القائل بأن هناك فترة حرجة لتعلم اللغة التي إن تجاوزها الفرد وهو لم يتعلم لغة إنسانية خملت قدراته الفطرية اللغوية و لم يعد قادرا على إتقان اللغة.

٣- يمكن القول بأن الحالة الرابعة، التي لم يكن الأطفال وحيدين، تعضد الرأي القائل بأن الأطفال المعزولين قادرون على إنتاج لغة جديدة تتمثل فيها خصائص اللغة الإنسانية لأنه قيل إن الطفلين كان يستخدمان كلمات محاكية.

نظريات بداية اللغة

كما قلنا من قبل إن موضوع أصل اللغة قد أرق كثيرا من المفكرين والفلاسفة ورجال الدين. فتعددت الآراء والنظريات حوله معتمدين تارة على النصوص الدينية وتارة على الحجج العقلية وأحيانا على ضروب من الحدس والتخمين. وقد ميز المطلعون على نتاج هذا الجدال ثلاث نظريات رئيسية: هي (١) نظرية الأصل الإلهي (٢) النظرية الاصطلاحية، (٣) النظرية الطبيعية. ونظريات أخرى حاولت الجمع بين اثنتين منهما.

١- نظرية الأصل الإلهي (التوقيفية)

(أ) عند **المسلمين** وقد اصطلح عليها بالنظرية **التوقيفية** ومن أشهر الذين قالوا بها من علماء اللغة بن فارس وأبو علي الفارسي ومن علماء الأصول والكلام الأشعري وابن فورك وابن حزم وقد احتجوا لذلك بحجج نقلية وعقلية:

الحجج النقلية (من القرآن الكريم):

١- قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) دل هذا على أن الأسماء توقيفية وإذا ثبت ذلك في الأسماء ثبت أيضاً في الأفعال والحروف إذ لا قائل بالفرق ، وأيضاً الاسم إنما سمي اسماً لكونه

علامة على مسماه والأفعال والحروف كذلك وتخصيص الاسم ببعض أنواع الكلام اصطلاح للنحاة.[٦] وقد رد ابن جني على هذا بقوله: إن معنى (علم) لا يعني بالضرورة علمه الألفاظ والأسماء بل إنه وضع فيه قدرة تساعده على وضع الأسماء والتفاهم بها.

٢- قوله تعالى (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان)، لقد ذم الله في هذه الآية قوماً على تسميتهم بعض الأشياء ببعض الأسماء بدون توقيف[٧] فلو لم تكن اللغة توقيفية لما صح هذا الذم. ورُد هذا الاستدلال بأن المراد ما اخترعوه من الأسماء للأصنام من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ووجه الذم مخالفة ذلك لما شرعه الله.

٣- قوله تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) حيث جعل اختلاف اللغات من آياته. والمراد هنا اختلاف اللغات لا اختلافات الجوارح التي لا يستغرب الاختلاف فيها لأن الاختلاف في اللغات أبلغ وأجمل.[٨] وأجيب عن هذا الاستدلال بأن المراد التوقيف عليها بعد الوضع وإقرار الخلق على وضعها.

الحجج العقلية :

١- لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة، وهذه تحتاج إلى اصطلاح سابق، ويلزم من هذا الدور التسلسل وهو محال فلا بد من الانتهاء إلى التوقيف.

٢- لو كانت اللغة اصطلاحية لجاز التغيير فيها لأنه لا حجر على الناس فيما اصطلحوا عليه وهذا غير جائز لأنه مؤدٍ إلى تبديل في اللغة وهذا بدوره مؤد إلى تغيير في الشرائع لأن معاني نصوصها قد تتغير بتغير الاصطلاح. نقول إن الواقع ينقض هذا الآن فاللغة تتغير ولكننا لا نشعر بهذا التغيير إلا بعد مئات السنين، وهذا واضح من وجود اللهجات المختلفة التي ظهرت بسبب تغيرات في النحو والأصوات والدلالة، والعربية الفصحى تطورت من لغة قديمة هي السامية القديمة وقبلها كان هناك لغة قديمة تجمع اللغات السامية الحامية.

(ب) عند **أهل الكتاب**: كثير من علماء اليهود والنصارى يقولون بالأصل الإلهي للغة مستدلين أيضا بأدلة نقلية وعقلية:

---

٦ الشوكاني، إرشاد الفحول، ٨١/١.
٧ شمس الدين الأصفهاني، شرح المنهاج، ١٧١/١.
٨ شمس الدين الأصفهاني، شرح المنهاج، ١٧١/١.

أدلة نقلية: استدلوا بما ورد في التوراة في سفر التكوين، فصل ٢، فقرة -١٩-٢٠ (وَكَانَ الرَّبُّ الإِلَهُ قَدْ جَلَبَ مِنَ التُّرَابِ كُلَّ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ الْفَضَاءِ وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى بِأَيِّ أَسْمَاءٍ يَدْعُوهَا، فَصَارَ كُلُّ اسْمٍ أَطْلَقَهُ آدَمُ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ حَيٍّ اسْماً لَهُ. وَهَكَذَا أَطْلَقَ آدَمُ أَسْمَاءً عَلَى كُلِّ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْبَهَائِمِ). وهذا النص لا يقوم دليلا على ما الأصل الإلهي لأنه يقول إن آدم هو الذي وضع الأسماء.

أدلة عقلية: كتب ساسميلك Sussmilch مقالة عن أصل اللغة نشرت سنة ١٧٦٧م بدأها بمقدمة أكد فيها أن اللغة وسيلة للمنطق والتفكير وبدونها لا يمكن للإنسان أن يقوم بعمليات عقلية أو منطقية أو تجريدية. ثم قال اللغة إما أن تكون في أصلها إنسانية أو إلهية، وإذا كانت إنسانية فإما أن تكون طبيعية أو اصطلاحية. ولكنها ليست طبيعية لأن الطبيعي ما نراه من لغات الحيوانات التي تكون متشابهة لدى النوع كله ولا تتغير تبعا للزمان أو المكان فصوت البقرة في الهند أو في أفريقيا أو أوربا واحد و لم يتغير منذ آلاف السنين.

إذن هل هي اصطلاحية ؟ إذا كانت اصطلاحية فلا بد أنها جاءت بطريق الصدفة أو بطريق القصد؟ ونستطيع أن نقول إنها لم تأت عن طريق الصدفة لأن الصدفة تعني عدم النظام والمتأمل في اللغة يجد أنها بنيت على نظام بالغ النظام والتركيب، ليس فقط في لغات الأمم المتحضرة وإنما حتى في لغات البدائيين.

إذن، هل جاءت بطريق القصد والتفكير والاختيار الحكيم ؟ هذا لا يمكن أن يقوم به الإنسان بدون رموز وكلمات أي بدون لغة، وهذا ينتهي بنا إلى القول باستحالة أن تكون اللغة من اختراع الإنسان. إن اللغة تعود إلى ذات أعلى وأذكى. إن الله هو مبدىء اللغة.

(ج) عند **أمم أخرى:** في إحدى محاورات أفلاطون، يتحيز أحد المتناظرين، ويُدعى كرايتليس، للرأي القائل بأن اللغة هبة منحتها السماء لبني الإنسان، وأن أسماء الأشياء ليست رموزاً مجردة، ولكنها جزء لا يتجزأ من جوهر المسمى.

وكذلك قال الفيلسوف اليوناني هيراكليلتوس Heraclitus الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد إن اللغة "وحي من السماء".[٩]

وينسب الإسكندنافيون في أساطيرهم اللغة إلى الآلهة، وتعزوها الأساطير الهندية على الإله إندرا Indra .

٩ موسوعة مقاتل، (الشبكة العالمية)

٢- نظرية الاصطلاح

أصحاب هذه النظرية يقولون إن واضع اللغة هم البشر الذين اصطلحوا على أصوات معينة ليشيروا بها إلى الأشياء حين غيابها وهي تقوم مقام الإشارة باليد عندما تكون هذه الأشياء حاضرة. وقد استدل القائلون بالأصل الاصطلاحي من **المسلمين** بحجة نقلية وحجج عقلية:

الحجة النقلية:

احتج أهل الاصطلاح من القرآن بقوله سبحانه وتعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) أي بلغتهم فهذا يقتضي تقدم اللغة على بعثة الرسل ، فلو كانت اللغة توقيفية لم يتصور ذلك إلا بالإرسال فيلزم الدور لأن الآية تدل على سبق اللغات للإرسال والتوقيف يدل على سبق الإرسال لها. واعترض على هذا الاستدلال بأن آدم عليه السلام هو الذي عُلّمها كما دلت عليه الآية وهو بدوره عَلَمها لأقدم رسول.

حججهم العقلية:

١- لو كانت اللغات توقيفية فذلك إما بأن يخلق الله تعالى علما ضروريا في العاقل أنه وضع الفظ لكذا، وهذا باطل لأنه يلزم منه كون العاقل عالما بالله بالضرورة، لأنه إذا كان عالما بالضرورة بكون الله وضع لفظ كذا لكذا كان علمه بالله ضروريا، ولو كان كذلك لبطل التكليف.[١٠]

٢- وقالوا أيضاً إن اللغة اصطلاحية بناءً على ما نراه مشاهداً من تعلم الأطفال لها حيث يتعلمون اللغة بالتلقين والإشارة وسماع من حولهم.

وقد اشتهر بالقول بالاصطلاح من المسلمين **أبو هاشم** أحد كبار المعتزلة وأتباعه، وقد ذهب إلى هذا في بعض أقواله **ابن جني** مبينا أن معنى (علّم) لا يعني بالضرورة علمه الألفاظ والأسماء وإنما وضع فيه قدرة تمكنه من وضعها والتفاهم بها. وذكر أن **الغزالي** وهو فيلسوف وأصولي معروف، قال في المنخول: اللغات كلها اصطلاحية إذ التوقيف يفهم بقول الرسول ولا يفهم قوله بدون سبق اللغة. ومن الذين قالوا بالاصطلاح الفيلسوف **الفارابي**. ويستنتج من قصة حي بن يقظان أن مؤلفها الفيلسوف **ابن طفيل** لا يعتقد بالتعليم الإلهي في القدرة اللغوية لأن الحكيم آسال عندما قابل حي بن يقظان، الذي عاش بين الحيوانات منعزلا عن البشر في جزيرة نائية،

١٠ الشوكاني، إرشاد الفحول،١/ ٨٤.

وجده قد وصل إلى أرقى درجات المعرفة الإيمانية لكنه كان لا يتكلم لغة، فاضطر إلى تعليمه إياها عن طريق الإشارة إلى الأشياء باليد والنطق بالألفاظ.

وقال محمد حجازي: إن آدم يرمز إلى الإنسان الأول على الأرض والأسماء ترمز إلى القدرة على اللغة.

وقد أجاب عباس حسن عن الاستدلال بقوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) أنها لا تدل على تعليم اللغة إذ ما فائدة تعليم آدم ما ليس محيطاً به.

وقال الشيخ السكندري: العقل والاستقراء يرينا أن اللغات تعود إلى أمهات وتلك الأمهات تعود إلى جده واحدة وهي اللغة الأولى القديمة ، وهذه اللغة كانت تمتلك ألفاظاً قليلة معدودة يحتاج إليها الإنسان في التعامل مع أخيه الإنسان وهذه الكلمات جاء بعضها عن طريق المحاكاة وبعضها جاء عن طريق الاصطلاح.

وممن قال بنظرية الأصل الاصطلاحي للغة من **غير المسلمين**:

أرسطوا: كان يرى أن اللغة اصطلاحية ولا علاقة بين الاسم ومعناه وكان يرد على قول الطبيعيين ويقول هناك كلمات كثيرة لا توجد بينها وبين ما تشير إليه علاقة محاكاة، ولو كانت اللغة طبيعية لتشابهت اللغات. ويقال إن الفيلسوف اليوناني **ديمقريطوس** Democritus قد سبقه إلى هذا الرأي.

وقد استمر القول بهذا الرأي أيام الرومان القدماء، وإبان العصور الوسطى، وعصر النهضة، وحتى العصور الحديثة، وكان أشهر من قال به في القرن التاسع عشر الفيلسوف الإنجليزي **آدم سميث** Adam Smith، والفيلسوف الفرنسي **جان جاك روسو** Jean Jacques Rousseau الذي قال: إن الإنسان وضع اللغة بعد أن أصبح مخلوقا ذكياً وكوّن المجتمعات وطور الفنون. ولا ندري كيف قبل روسو فكرة أن ينشئ الإنسان المجتمعات ويطور الفنون بدون امتلاك لغة، ثم بعد ذلك يضع اللغة. وقد قيل إن روسو في النهاية رجع عن هذا الرأي.

الجمع بين الرأي التوقيفي والاصطلاحي: عندما رأى الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني تعارض مذهبي القائلين بالتوقيف والقائلين بالاصطلاح، ولا دليل قاطع في المسألة مع ضعف دليل أهل الاصطلاح لأنه يقتضي أن يسبق الاصطلاح على اللغة اصطلاح سابق وهكذا، رأى أن المخرج هو الجمع بين الرأيين والتوفيق بينهما للخروج من هذا المأزق فافتراض أن القدر من اللغة الذي مكن من الاصطلاح على اللغة لا بد أن يفترض فيه التوقيف، وأما باقي اللغة فاصطلاحي.

٣- النظرية الطبيعية

هذه النظرية تقول إن اللغة بدأت بمحاكاة الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد.

وقد قال بهذا الرأي من **المسلمين** عباد بن سليمان الصيمري الذي يرى أن لا بد أن يكون بين الكلمة ومعناها علاقة طبيعية حملت الواضع أن يضع لفظ كذا لكذا وإلا كان اختصاص المعنى بلفظ من بين الألفاظ بلا مخصص.[١١]

ومن الفلاسفة اليونان الذين قالوا بهذا الرأي **أفلاطون** الذي قيل إنه قال إن هناك علاقة طبيعية بين الكلمة وما تشير إليه.

وقد كان الفلاسفة اليونانيون المعروفون **بالرواقيين** Stoics يعتقدون بعلاقة طبيعية بين الكلمة وما تشير إليه، ويستدلون على ذلك بوجود الكلمات المحاكية onomatopoeia لمعناها في اللغات. وقال بذلك أيضا إبيقور Epicurus الذي علل وجود الكلمات غير المحاكية بأنها تعود إلى كونها نقلت من معانيها الأصلية إلى أخرى عن طريق الاستعارة والمجاز.

التوفيق بين الأصل الإلهـــي والطبيعي عند الغربيين: هناك نظرية حاولت التوفيق والجمع بين نظريتي الأصل الإلهي والطبيعي. أصحاب هذه النظرية يقولون: إن آدم عندما كان في الجنة كان إنساناً كاملاً يتمتع بمعرفة سماوية وافية، لذلك كانت أسماؤه التي أطلقها على الأشياء ذات علاقة طبيعية قوية وكانت تعبر في لفظها عن طبائع الأشياء وحقائقها وكان هناك انسجام تام بين الكلمة والشئ ،ولكنه بعد اقتراف الخطيئة وهبوطه إلى الأرض فقد تلك القدرات اللغوية السماوية ووجد نفسه وذريته مضطرين إلى إنشاء كلمات قائمة على التواضع والاصطلاح وضعيفة المحاكاة.

النظريات الطبيعية في العصر الحديث

شغل لغز بداية اللغة مفكري ولغويي القرن التاسع عشر فتعدت الآراء وتباينت الادعاءات وطغت النظريات الطبيعية على غيرها، ومن هذه النظريات الحديثة:

(أ) نظرية Bow-Wow: يرى أصحابها، أن اللغة نشأت من تقليد أصوات الطبيعة، وهي النظرية التي أشار إليها ابن جني بقوله: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو من

١١ شمس الدين الأصفهاني، شرح المنهاج، ١٦٩/١.

الأصوات المسموعات، كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح متقبل".

وترى هذه النظرية أن الإنسان الأول، عندما أراد أن يميز بين الكائنات، بأسماء ليتحدث عنها، أو يشير إليها في حين غيابها، أخذ في محاكاة أصواتها الطبيعية، فنباح الكلب، مثلاً، اتخذ رمزاً ليدل على هذا الحيوان، ومثل ذلك عواء الذئب، وزئير الأسد، ومواء القط، ومن ثم أصبحت هذه الأصوات الحيوانية المختلفة رموزاً، يشير بها الإنسان الأول إلى هذه الحيوانات، ومثل ذلك في حفيف الشجر، وزفير النار، وقصف الرعد، وخرير الماء وغيرها. ومن هذه الأصوات، تكونت مجموعة من الكلمات، هي أقدم الكلمات في لغات البشر، ثم تطورت هذه الأصوات، أو الكلمات من الدلالة على هذه المعاني الحسية المباشرة، إلى معان أخرى، أكثر تجريداً، ومن هذه الأصوات البدائية، تكونت اللغات فيما بعد على مدى قرون طويلة.[١٢]

وقد لاقت قبولاً كبيراً، في القرن التاسع عشر، والعشرين وأيدها علماء بارزون، مثل Jesperson جسبرسين ، و Herder هيردر، ومن العرب: إبراهيم أنيس، وعلي عبد الواحد وافي، ودافعوا عنها دفاعاً شديداً ووصفوها بأنها: "أدنى النظريات إلى الصحة، وأقربها إلى المعقول، وأكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور.[١٣] والسؤال الذي يفرض نفسه: كيف حوكيت وسميت الأشياء الجامدة ، كالحجر والجبل، والشجر. وأهم ما يؤخذ على هذه النظرية، أنها تحصر أساس نشأة اللغة، في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة وتتجاهل الحاجة الطبيعية الماسة إلى التخاطب والتفاهم، والتعبير عما في النفس، تلك الحاجة، التي هي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية.[١٤]

(ب) نظرية Ding Dong: أشهر القائلين بهذه النظرية Max Muller ماكس موللر، الذي قال إن الإنسان قادر بفطرته على صوغ الألفاظ عند الحاجة وقد صاغ كلماته الأولى معبرا بها عن شعوره الداخلي عند سماعه أصوات الطبيعة في الخارج. فكل شيء يسمع صوته أو يرى شكله يولد عنده انطباعا داخليا يترجمه بفطرته إلى كلمات لغوية.

١٢ انظر موسوعة Moqatel على الشبكة العالمية.
١٣ المصدر السابق.
١٤ المصدر السابق.

(ج) نظرية Yo-He-Ho كان يقول بهذه النظرية الفرنسي Noiré نويري، وهي تفترض أن اللغة بدأت بأصوات غير مقصودة كانت تصاحب النشاط الجسماني للبشر، وهذه الأصوات كان يراد منها تنظيم إيقاع العمل، خاصة عند الجر أو الدفع أو الحمل أو القطع أو ما شابه ذلك من النشاطات. ثم تطورت هذه الأصوات غير المقصودة مع الزمن لتصبح أغان وأناشيد وشعرا.

(د) نظرية التنفيس عن النفس Pooh-Pooh: هذه النظرية، تقرر أن الفضل في نشأة اللغة، يرجع إلى غريزة خاصة تحمل الإنسان على التعبير عن انفعالاته، بحركات وأصوات خاصة، مثل انقباض الأسارير، وانبساطها، أو الضحك، أو البكاء، أو غير ذلك، مما يعبر به عن انفعالات كالغضب، والخوف، والحزن، والسرور، نحو: أح، أخ، أف، أوّه، آه. وهذه الألفاظ كانت متحدة عند جميع الأفراد في طبيعتها، ووظائفها، وما يصدر عنها، وأنه بفضل ذلك اتحدت المفردات، وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الإنسانية الأولى، فاستطاعوا التفاهم فيما بينهم.

والنقد الذي يوجه إلى هذه النظرية هو أنه لا يمكننا أن نتصور أن اللغة بدأت من هذه الكلمات لأنها مازالت في اللغة على شكل تعبيرات وأسماء أصوات اعتراضية، مما يبين أن طبيعتها تختلف عن بقية كلمات اللغة. وبعض هذه الألفاظ أيضاً ليس قديما بل نشأ حديثا، والإنسان يغيرها دائما، وهي ولا تخضع لقواعد الجمل النحوية بل هي كلمات خاصة لها طبيعة معينة ولا يمكن اعتبارها أصلا لكلمات اللغة إضافة إلى أن بعض أصواتها لا يشبه بقية أصوات اللغة.

(هـ) نظرية الأصل الإشاري والحركي للغة : يقول Paget باجيه إن اللغة بدأت بإشارات بالشفتين واللسان وتشكيلات في عضلات الوجه، وقد حاول أن يدلل على ذلك بأمثلة من ألفاظ الضمائر في اللغة الإنجليزية، مثل بروز الشفتين عند نطق ضمير YOU وكأنك تشير إلى المخاطب.

وانكماش الشفتين عند نطق ضمير المتكلم " I " كأن المتكلم يشير إلى نفسه.

وانكماش جانب الفم عند نطق لفظ ضمير الغائب HE

ثم صاحب هذه الإشارات بعض الأصوات لتأكيدها ثم بعد ذلك ضعف دور الإشارات وقوي دور الأصوات واستعيض عن الإشارات بأصوات كلامية. ولو طبقنا هذه النظرية على العربية لقلنا مثلاً:

أنا : فيه إشارة إلى المتكلم بتقلص الشفتين إلى الداخل.

هو: فيه إلى شارة الغائب ببروز الشفتين.

ومن النظريات الحديثة تلك التي تربط بداية اللغة بنظام الحركة ومناطق تحكمه في المخ. ومن الأدلة التي يستأنسون بها هو أن أي خلل أو عطب في مناطق المخ المتحكمة في الحركة يصاحبها اختلال في الكلام واللغة عند الإنسان، بينما لا يحدث هذا عند القردة، فأي عطب في مناطق المخ المتحكمة في الحركة لا ينتج عنه اختلال في صيحاتها. هذا الترابط والتلازم بين الحركة والكلام يدل في نظرهم على أن اللغة بدأت بحركات ثم تطورت إلى حركات وأصوات ثم تحولت بعد ذلك إلى أصوات. ومن الأدلة أيضا على هذه النظرية أن كلام الإنسان في أكثره مصحوب بحركات باليد والرأس وتشكل في ملامح الوجه، ويضيفون أيضا أن الصوت ناتج عن حركة في أعضاء النطق.

(و) نظرية التطور: هذه النظرية تعتمد كثيراً على معطيات نظرية Darwin دارون في النشوء والتطور في الأحياء. وقد أثرت هذه النظرية في كثير من العلوم الإنسانية كالأنثروبولجيا (علم الإنسان) وعلم الاجتماع والفلكلور وغيرها. وقد وجد بعض علماء اللغة فيها وسيلة لتفسير أصل اللغة، لذا نجدهم يفترضون أن اللغة لم تبدأ كاملة منذ الوهلة الأولى وإنما تطورت مع تطور جسم الإنسان ومخه ومن ثم رقي قدراته العقلية. ويقارنون أطوار تطور جسم الإنسان الأول ولغته .بمراحل النمو عند الأطفال. وهذه المراحل في نظرهم كالتالي:

١- مرحلة الأصوات الانبعاثية الساذجة حين كانت أعضاء النطق غير ناضجة والميول والرغبات غير واضحة، هذه المرحلة في نظرهم تشبه حالة الطفل في الشهور الأولى من حياته.

٢- مرحلة الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات المصحوبة بإشارات متنوعة. في هذه المرحلة يظهر التمييز للأصوات كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والتمييز في نطق بعض الأصوات الشفوية (ب، م) وهذه المرحلة تناظر حالة الطفل في أواخر السنة الأولى عندما يبدأ بترديد أصوات مثل: با با، ما ما، دا دا ...إلخ.

٣- مرحلة المقاطع التي أصبح الإنسان فيها ينطق أصوات محددة المعالم في صورة مقاطع قصيرة محاكية أصوات الحيوانات والأشياء في الطبيعة، وتشبه هذه المرحلة حالة الطفل في بداية السنة الثانية عندما يبدأ يسمى الأشياء بحسب أصواتها مثل تسمية الكلب "هوهو" والقطة "نَوْ نوْ" والساعة "تك تك".

٤- مرحلة تكوين كلمات من مقاطع، وهذه تمثل الجذور اللغوية الأولى التي استعملها الإنسان الأول لقضاء حاجاته، وقد بلغ هذه المرحلة اللغوية بعد أن اكتملت قدراته العقلية ونضجت أعضاؤه الصوتية، واشتدت حاجته إلى التفاهم مع غيره، ويناظر هذه المرحلة من أطوار

نمو الطفل تلك التي يبدأ فيها التفاهم مع من حوله ويصبح لديه قدرا من المفردات التي تساعده في الإشارة إلى الأشياء في محيطه وبيئته.[١٥]

خاتمة:

إن هذا موضوع شائك يذهب بنا إلى ماض سحيق من تاريخ الإنسانية. وليس هناك أدلة نصية قطعية في هذه المسألة. وأما الأدلة العقلية فهي قائمة على افتراضات كلامية وعقلية بحتة لا علاقة لها بالواقع. وهذا هو الذي جعل كثيرا من المفكرين يترددون بين هذه الآراء كابن جني والغزالي. ورأينا آخرين كالرازي والباقلاني يفضلون عدم القطع برأي في هذه المسألة لتكافؤ الأدلة وعدم وجود مرجح.

كل هذه الأمور مجتمعة تجعلنا لا نقطع برأي جازم وإنما نقول إنه يبدو أن الأصل الإلهي في اللغة هي تلك المقدرة الفطرية اللغوية التي وهبها الله للإنسان وجعله قادرا إيجاد نظام من العلامات يستطيع به التفاهم مع الآخرين من جنسه. ومسألة هل بدأت هذه اللغة بكلمات محاكية أو غير محاكية ليست مهمة في نظرنا لأنه لا علاقة لها بالأصل الفعلي للغة. فالإنسان لو لم ذا صوت لاستخدم وسيلة إشارية أخرى. نحن نرى اليوم الصم والبكم يستخدمون الإشارات كلغة ذات نظام صرفي ونحوي قادرة على التعبير بتراكيب تشتمل على علامات للعدد والزمن والضمائر. وهناك مجموعات من البشر حرمت السمع والبصر فعمد أفرادها إلى استخدام نظام لغوي قائم على تشكيلات من اللمسات. وهناك من يقول إنه لو عزل اثنان أو ثلاثة من الأطفال في مكان ما لاستطاعوا أن ينشئوا لغة جديدة قد تضاهي اللغات الأخرى في تراكيبها ونحوها وصرفها. إذن المسألة المهمة في أصل اللغة ليست الكلمات. المهم هو أن هذا المخلوق قد وهب قدرات عقلية ولغوية فطرية تمكنه من استخدام أي وسائط متاحة ليستعملها نظاما للتفاهم مع غيره. وقد نجح علماء في بريطانيا في الكشف عن أول مورث، أو جين، مسؤول عن تطور اللغة والكلام عند الإنسان. يقول البروفيسور انتوني موناكو من مركز ويلكوم لدراسات المورثات البشرية، إن هذا الكشف يعد أول دليل علمي على وجود مورث يمكن أن يكون له علاقة واضحة بمشاكل نشأة اللغة وتطورها، ومن شأنه إلقاء الضوء على ألغاز اللسان والكلام وأسرارهما.[١٦]

---

١٥ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ١١٩.

١٦ BBC Online, 01/10/03
,http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1578000/1578127.stm

أصل واحد أم متعدد؟

اختلف العلماء حول مسألة هل هذه اللغات الإنسانية والعائلات اللغوية تعود إلى لغة أُم ، أم أنها تعود إلى أصول مختلفة. وهذه قضية أخرى لا يمكن الوصول فيها إلى رأي يقيني قاطع.

١- هناك من يقول إنها نشأت من لغة واحدة والقائلون بهذا يذكرون أن هناك ما يقارب ٥٠٠ جذر لغوي تتشابه في لغات مختلفة. وهناك أيضاً ما يسمى بالصفات العالمية الشائعة في اللغات LANGUAGE UNIVERSALS التي تبين أن لغات البشر تشترك في سمات عامة وشائعة، كوجود أقسام الكلمة والضمائر وأسماء الإشارة وغيرها.

٢- هناك من يرجع اللغات الإنسانية إلى أصول مختلفة لا علاقة بينها، وأما السمات الشائعة في اللغة فلا تقوم دليلا على وحدة الأصل وإنما تعود إلى القدرات اللغوية الفطرية وإلى تشابه التفكير الإنساني عند الشعوب.

القسم الثاني

اللغات السامية

السامية تسمية حديثة عهد اقترحها عالم اللاهوت الألماني –النمساوي شلوتزر Scholzer عام ١٧٨١ للميلاد، لتكون علماً على عدد من الشعوب التي أنشأت في هذا الجزء من غرب آسيا حضارات ترتبط لغوياً وتاريخياً، كما ترتبط من حيث الأنساب، والتي زعم أنها انحدرت من صلب سام بن نوح، بناء على ما جاء في التوراة في صحيفة الأنساب الواردة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين، من أن الطوفان عندما اجتاح سكان الأرض لم ينج منه سوى نوح وأولاده الثلاثة: سام وحام ويافث وما حمل معه في سفينته زوجين كل من شيء. وقد شاعت هذه التسمية وأصبحت علماً لهذه المجموعة من الشعوب عند عدد كبير من العلماء في الغرب ومن سايرهم من العرب" على الرغم من أن هذه التسمية لا تستند إلى واقع تاريخي، أو إلى أسس علمية عنصرية صحيحة، أو وجهة نظر لغوية."[١٧]

إن هذه الشعوب التي أطلق عليها خطأ اسم "الساميون" هي في حقيقة الأمر قبائل عربية هاجرت بفعل العوامل الطبيعية من جزيرة العرب بحثاً عن الماء والكلأ، ومنها تفرعت الأقوام الأخرى، يؤكد هذا القول ما ذهب إليه "كثير من العلماء الباحثين في أصل الأجناس والسلالات من أن العرب هم أصل العرق السامي، ومن أرومتهم تفرعت الأقوام الأخرى وتشعبت قبائلها، ولهذا الفريق شواهد تاريخية وعرقية ولغوية يدعم بها حجته ويثبت آراءه."[١٨]

الموطن الأصلي للغات السامية

اختلف علماء الساميات حول الموطن الأصلي للغة السامية الأم. ومن أشهر الآراء في هذا الباب:

١–أرض إرمينية وكردستان ويعتمد أصحاب هذا الرأي على أدلة دينية ولغوية توراتية. فقد ورد في العهد القديم أن سفينة نوح رست على جبل في إرمينية وقد عاش نوح وأبناؤه في هذه المنطقة، وقد لعن حام وأبعد منها، ورحل عنها يافث، وبقي فيها سام الذي نشأ أبناؤه هناك فيها، ومن ذريته كان أرفكشد. ويزعم هؤلاء أن في هذه المنطقة إقليم يسمى أربختس، وهذا الاسم ما

[17] كايد، إبراهيم، "العربية بين الساميات"
[18] كايد، إبراهيم "العربية بين الساميات"

هو إلا تغيير أرفكشد وهو أحد أبناء سام قائلين أنّ الفاء والباء حروف شفوية والكاف والخاء حروف متقاربة المخارج، أي أن أصل أربختس هو < أربخست < أرفكشد.

٢- مهد الساميين هو أرض بابل في العراق، أي جنوب العراق، وقد قال بهذا الرأي: إرنست رينان، ، وفرينـــز هومل، وبيترز، وأغناطيوس جويدي الذي يقول إن الكلمات المشتركة في النبات والحيوان والظواهر الجغرافية في اللغات السامية تناسب بيئة جنوب العراق وبلاد بابل. فمثلا كلمة نهر موجودة في الأكادية والعبرية والآرامية والعربية والسبئية والأثيوبية بينما بعض هذه اللغات لا يوجد أنهار بأرضها كالعربية، فالجزيرة تخلو من مثل هذه الظاهرة الجغرافية. ويتساءل من أين جاء هذا اللفظ في العربية. يقول لا جواب لهذا في رأيه إلا أن يكون العرب قد عرفوا النهر من قبل، وكان في لغتهم وبقي فيها بعد أن انتقلوا من موطنهم الأصلي. كذلك يزعم أن الجبل له كلمات مختلفة في اللغات السامية: في الآرامية طورا، وفي الأكادية شادوا، وفي العبرية صر، وفي العربية جبل، وهذا في رأيه يعود إلى أنهم لم يعرفوا هذه الظاهرة في موطنهم الأول، وعندما تفرقوا في البلاد التي فيها جبال كل وضع له لفظ مختلف عن الآخر.

ومن الانتقادات التي وجهت إلى هذا الرأي:

أ- هناك وثيقة تبين أن أحد الملوك الساميين في العراق وهو الملك سرجون الأكادي ٢٦٠٠ ق.م كتب عن أصله في نقش مشهور يفهم منه أنه وعشيرته قد جاءوا إلى العراق من شرقي جزيرة العرب.

ب- هناك وثائق كثيرة تدل على أن أرض العراق كانت أرضاً غير سامية في الأصل حيث كانت موطناً للسومريين وهم جنس غير سامي، ولهم عادات ولغة وملامح غير سامية.

ج- إن وجود كلمة نهر في جميع اللغات السامية مع عدم وجود نهر في بعض المناطق ليس دليلاً قويا لأن الجزيرة العربية كانت في قديم الزمان بلاد خصبة ذات أنهار وجنان. وأما اختلافهم في كلمة جبل فلا دليل يستفاد منه لأننا نراهم اختلفوا في كلمة رجل ، وقمر ولا يستطيع أن يزعم زاعم أنهم لم يعرفوا مسمياتها إلا بعد رحيلهم من بابل.

٣- أرض أفريقيا :- الموطن الأصلي للساميين هو أرض إفريقيا إن الموطن الأصلي للساميين هو بلاد أفريقيا وقد انتقلوا إلى آسيا منها. وقد قال بهذا الرأي المستشرق البريطاني بارتون ونولدكه، مدللا عليه الأخير بوجود تشابه بين اللغات الحامية واللغات السامية. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو كيف اختفت اللغات السامية من أفريقيا ما عدا الحبشية القريبة من جزيرة العرب؟ إن ما يتكلم عنه نولدكه مرحلة موغلة في القدم تعود إلى ما قبل العائلة الحامية السامية.

هذه الدلائل اللغوية غير واضحة والتشابه لا يعني أن الأصل لا بد أن كان في إفريقيا. لم لا يكون أصل الحاميين والساميين في جزيرة العرب ثم انتقل الحاميون إلى إفريقيا ؟

٤- شمال سورية بلاد آمورو كما كانت تسمى في النقوش القديمة. ويحتج المستشرق الأمريكي كلاي بوثائق تقول إن الأسرة البابلية الأولى قد جاءت إلى العراق نازحة من الغرب من إقليم آمورو في سورية ويشير كلاي إلى بعض التشابه بين الأساطير العراقية والأساطير الفينيقية وأساطير الساميين في بلاد سورية. هذا التشابه في الخرافات والأساطير لا يقوم دليلا لأن هناك تأثيرات متبادلة بين الإقليمين. ثم كيف يمكننا أن نبرر انتقال الإنسان من بيئة غنية بالنبات والزراعة والمياه والطقس اللطيف إلى مناطق قاحلة. ثم كيف استطاعوا قطع الصحراء قبل استئناس الجمال التي لم يثبت استئناسه إلا في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد.

٥- جزيرة العرب (اليمن خاصة) قال بهذا عدد من المستشرقين مثل إيراهارد شرادر وأيده من بعد فنكلر، وتيله، والأب فنسان، والأثري الفرنسي جاك دي مورجان، والمستشرق الإيطالي كايتاني، الذين يرون أن الموطن الأصلي للساميين كان شبه الجزيرة العربية."[١٩] وهذا ما أكده إسرائيل ولفنسون، ويؤيد هذا الرأي الأمور التالية: (أ) إن انتقال البشر من المناطق القاحلة إلى الخصبة أمر منطقي تماما. أما القول بعكسه فليس له ما يؤيده من ناحية العقل أو التاريخ. (ب) إن العربية تحتفظ بكثير من السمات اللغوية للغة السامية الأم بينما فقد هذه السمات كثير من اللغات السامية المحاذية لأقوام غير سامية، ومن يحتفظ بالسمات الأولى هو أولى بالأصل من غيره، ولا يعقل أن يكون العرب قد انتقلوا من مناطق لأقوام غير سامية ثم جاءوا إلى جزيرة العرب وبقوا محتفظين بسماتها القديمة. (ج) وجود سمات مشتركة بين العبرية والسبئية، يؤكد هذا ما ذهب إليه مرجوليوث من أن الوطن الأصلي لبني إسرائيل هو بلاد اليمن وليس شبه جزيرة سيناء، وقد اعتمد في رأيه هذا على بعض الخصائص اللغوية المشتركة بين السبئيّة والعبرية، إلى جانب اعتماده على تشابه العادات والتقاليد والأخلاق الدينية عند السبئيين وبني إسرائيل. (د) وجود علاقة بين أسماء بعض الآلهة السامية في الأساطير البابلبية مثل تيامت، وهي آلهة وثنية تهيمن على السواحل، واسم ساحل تهامة وهو ساحل البحر الأحمر في غرب الجزيرة العربية. وعلاقة لغوية بين الأسماء الدينية في التوراة والقرآن كجنة عدن وبلاد عدن في جنوب الجزيرة العربية.

[19] كايد، إبراهيم "العربية بين الساميات"

انظر خريطة توزيع اللغات السامية (ملحق ١)

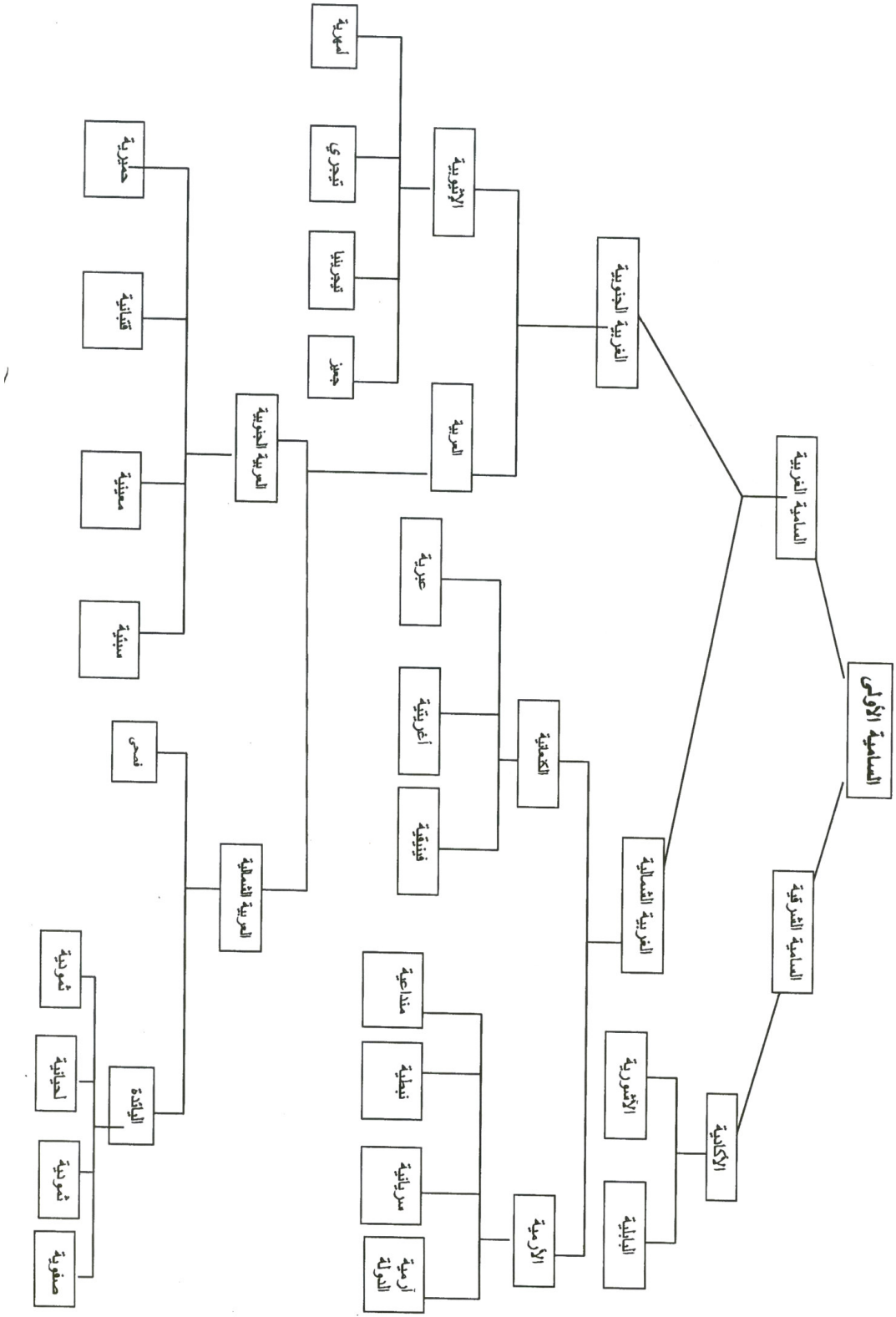

تقسيم اللغات السامية

اللغات السامية تنقسم إلى ثلاثة فروع هي (١) اللغات السامية الشرقية و (٢) اللغات السامية الشمالية الغربية (٣ اللغات السامية الجنوبية الغربية (أو الجنوبية).

ولا يضم الفرع الشرقي غير اللغة الأكادية وهى أقدم لغة سامية تم تأكيد وجودها على أساس النصوص المسمارية. وكانت الأكادية مستعملة في بلاد ما بين النهرين منذ حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد حتى ما يقارب ١٠٠ سنة بعده. واستمرّ استعمالها لغة كتابة منذ حوالي ٢٠٠٠ ق.م وحتى القرن الثاني أو الثالث الميلادي. وقد تطور منها لهجتان هما البابلية في الجنوب والآشورية في الشمال، اللتان خلفتهما الآرامية في القرن السادس ق. م. إنّ الفرق الرئيسي بين اللغات السامية الشرقية واللغات السامية الغربية هو اختلاف نظام الأفعال.

ويحتوي الفرع السامي الشمالي الغربي على اللغات العمورية والأوغاريتية والكنعانية والآرامية. أما **العمورية** فهي لغة اكتشفت استناداً إلى بعض الأسماء الشخصية التي دخلت في النصوص الأكادية والمصرية وتعود إلى النصف الأول من الألف الثاني ق .م. والأرجح أن العموريين القدماء كانوا من الأقوام البدوية السامية.

وتمثل اللغة **الأوغاريتية** شكلاً قديما من الكنعانية وكانت مكتوبة ومنطوقا بها في أوغاريت (رأس شمرا) على الساحل الشمالي لفينيقيا في القرنين ١٤ و ١٣ ق.م. والنصوص الأوغاريتية الأولى التي عثر عليها في أواخر العشرينات من القرن العشرين مكتوبة بأبجدية مشابهة للخط المسماري.

أمّا **الكنعانية** فتتكون من عدد من اللهجات المترابطة فيما بينها ترابطاً وثيقاً والتي كانت مستعملة في فلسطين وفينيقيا وسورية. وتعود مدوّناتها إلى حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م. واللغات الكنعانية الرئيسية هي **الفينيقية** و**الفونية** و**المؤابية** و**الأدومية** و**العبرية** و**العمونية** وكانت كلها بادئ الأمر تُكتب بالخط الفينيقي. والمدوّنات **الفينيقية** تعود من مطلع العهد المسيحي إلى ١٠٠٠ سنة ق.م. (نقوش من لبنان وسورية وفلسطين وقبرص وغيرها). أمّا اللغة **الفونية** التي تطورت من الفينيقية في مستعمراتها حول البحر المتوسط ابتداء من القرن التاسع ق .م فقد ظلّت مستعملة حتى القرن الخامس الميلادي. وأما **المؤابية والأدومية والعمونية** فكانت منتشرة في أراضى الأردن الحالية. و لم يبق من مدوّنات تلك اللغات إلا القليل من النقوش والخواتم التي تعود إلى الفترة ما بين القرنين ٩ و ٥ ق .م. والأرجح أن الآرامية حلّت محّل تلك اللغات. وأكثر تلك المدّونات شهرة

هو النص المؤابي المنقوش في حجر "ميشع" والذي يعود إلى حوالي سنة ٨٤٠ ق .م. ويحتوى النص على رواية حروب ميشع (ملك المؤابيين) ضد عمري ملك إسرائيل. أما اللغة **العبرية** الكلاسيكية أو عبرية الكتاب المقدس فكانت معروفة منذ العهد القديم وكُتبت بها نصوص على مدى ألف سنة. وأقدم النقوش العبرية هو لوح (تقويم جزر) الذي يعود إلى حوالي سنة ٩٢٥ ق .م. وكانت العبرية تُكتب بالأبجدية الكنعانية الفينيقية إلى أن اتخذ اليهود في القرن الرابع ق.م. الخط المربّع من الآرامية وظلّوا يستخدمونه إلى أيامنا هذه. ومع حلول القرن الثالث ق .م. لم يكن مستعملا من العبرية إلا المشناوية في يهوذا. ومع ذلك فقد احتفظ اليهود بتلك اللغة على مدى القرون باعتبارها لغة مقدسة وتم إحياؤها ـــ مع ببعض التعديلات ـــ في القرن العشرين لتصبح لغة رسمية لإسرائيل في فلسطين المحتلة.

أما المدوّنات **الآرامية** فتعود إلى ٨٥٠ ق .م . (على لوح حجري من تل فخرية في سورية). وقد انتشرت الآرامية انتشاراً سريعاً لتصبح في القرن السادس ق .م. لغة الإدارة واللغة الشائعة في جميع أنحاء الشرق الأوسط فحلّت محل اللغات السامية الأخرى بما فيها الأكادية والعبرية. وحتى عصر الفتوحات العربية الإسلامية في القرن السابع لم يكن لها نظير في الشرق الأوسط إلا اللغة اليونانية. أما مصادر الآرامية قبل الميلاد (الآرامية العتيقة أو الإمبراطورية) فهي النقوش وبعض الخطابات والوثائق المكتوبة على ورق البردي بالإضافة إلى كتابَيْ عزرا ودانيال من العهد القديم. وتضم الآرامية الغربية: النبطية والتدمرية والآرامية اليهودية الفلسطينية) والآرامية السامرية، والآرامية المسيحية الفلسطينية (السريانية الفلسطينية). ومع أن معظم سكّان المملكة النبطية في البتراء وجوارها في جنوب الأردن، وتدمر (شمالي شرقي سورية) والخضر في شمال العراق كانوا عرباً إلا أنهم كتاباتهم كانت بالآرامية مستعملين أنواعاً خاصة بهم من الخط.

السامية الجنوبية الغربية أو الجنوبية

وتحتوي اللغات السامية الجنوبية الغربية أو الجنوبية على (١) العربية الجنوبية و (٢) العربية الشمالية و(٣) اللغات الإثيوبية.

ومن مصادر اللغة **العربية الجنوبية** بعض النقوش القديمة إضافة إلى اللهجات العامية المنطوق بها حاليا في اليمن و عُمان. وقد اشتقت أبجديتها من الخط الكنعاني الذي جيء به إلى المنطقة من شمال الجزيرة العربية حوالي سنة ١٣٠٠ ق .م . وتعود النقوش العربية الجنوبية ـــ وهي في شكل نذور ووثائق ونقوش على القبور ـــ إلى فترة ما بين ٧٠٠ ق. م. و ٥٠٠م. وتضم العربية الجنوبية

بضع لهجات منها السبئية والمعينية والقتبانية ولهجة حضرموت. أما اللغات المعاصرة لجنوب الجزيرة العربية فليست مكتوبة وهى في طريقها إلى الانقراض نتيجة انتشار اللغة العربية الشمالية. وأشهر تلك اللغات هي المهرية والسقطرية.

العربية الشمالية وتنقسم إلى **العربية البائدة** وهي التي كان يتكلمها أبناء قبائل ثمود ولحيان في شمال الحجاز وسكان الصفا في بلاد الشام. وثمة آلاف النصوص القصيرة المنقوشة على الصخور التي تعود إلى فترة ما بين ٧٠٠ ق.م .و٤٠٠ م. ويعود أقدم النصوص العربية المكتوبة بالخط المشتق من الأبجدية النبطية إلى القرن الرابع للميلاد. ويقع مهد اللغة **العربية الباقية** (الفصحى) في شمال الجزيرة العربية. والمصادر الأولى لتلك اللغة هي الشعر الجاهلي والقرآن الكريم. ومع ظهور الإسلام وانتشاره انتشرت العربية وأصبحت لغة الثقافة والعلوم من بلاد فارس وآسيا الصغرى إلى المحيط الأطلسي وأسبانيا.

والإثيوبية تشبه لغات جنوب الجزيرة العربية أكثر مما تشبه العربية الشمالية. وأقدم تلك اللغات هي الجعزية المعروفة باسم الإثيوبية. ويعتقد بعض علماء الساميات أنها تفرّعت من لغة جنوب الجزيرة العربية في بداية العهد المسيحي لتبلغ أوج اتّساعها في القرن الرابع. وكان تكلّم بها في ذلك الوقت سكّان مملكة أكسوم الواقعة على الحدود الحالية بين إثيوبيا وإريتريا .ومع أنّ الجعزية قد توقف استعمالها كلغة للكلام منذ حوالي ١٠٠٠م إلاّ أنها ظلت لغة الطقوس الدينية في الكنيسة الحبشية.

ومن يتأمل الكلمات التي وردت في الجدول التالي يدرك العلاقة اللغوية بين هذه اللغات:[٢٠]

العربيّة	الإثيوبيّة	الأكاديّة	الأوغاريتية	الآراميّة	العبريّة
أخ	إِخْتُ	أَخُو	أخُ	أحَا	أحُ
بَعْل	باعِل	بيلُ	بعل	بَعلا	بَعَل
كَلب	كلب	كلبُ	كلب	كلبا	كَلَف
ذُباب	زمب	زمبُ	ـــ	دَبَّاثا	زِفوف
زَرْع	زَرِع	زِيرُ	درع	زرعا	زِرَع
رأس	رِءِس	رِيشُ	ريش	ريشا	رُأش

[20] موسوعة مقاتل "السمات العامة للغة العربية"

عين	عين	ينُ	عن	عينا	عَينْ
لسان	لسان	لِشانُ	لسن	لِشَّانا	لَشُن
سِنّ	سِنّ	شنُّ	ـــ	شِنانا	شِنْ
سماء	سماي	شمو	شمم	شِمَيّا	شمايم
ماء	ماي	مُو	مي	مَيّا	مَيم
بيت	بِت	بيتُ	بت	بيتا	بَيتْ
سلام	سلام	شلامُ	شلم	شِلاما	شَلُوم
اسم	سِم	شُمُ	شم	شِمَا	شِم

الخصائص المشتركة بين اللغات السامية

(أ) وجود عدد كبير من الحروف الحلقية، وهي: ع، غ، ح، خ، هـــ، ء. لكن بعض هذه الأصوات لم يبق على حاله في بعض اللغات، بل تغير بعضها إلى أصوات أخرى. و لم تبق كاملة إلا في العربية الشمالية والعربية الجنوبية والأغاريتية. (انظر الجدول).

حروف الحلق		
ع تغير إلى	ء	الأكادية
ح تغير إلى	هـــ > ء	الأكادية
خ تغير إلى	ح	العبرية والآرمية
غ تغير إلى	ع > ء ع	الأكادية العبرية، الآرمية، الإثيوبية

(ب) وجود عدد من حروف الإطباق وهي: ق، ،ص، ط، ض، ظ لكنها لم تبق أيضا على حالها في جميع هذه اللغات، بل تغير بعضها. و لم يحتفظ كاملة إلا العربية الشمالية والعربية الجنوبية (انظر الجدول).

حروف الإطباق		
ض تغير إلى	ص ع	الأكادية، العبرية، الأوغاريتية الآرمية
ظ تغير إلى	ص ط	الأكادية، العبرية، الإثيوبية الآرمية

(ج) يقوم بناء الكلمة على الحروف الصامتة، فهي وحدها التي تؤدي المعنى العام وأما الحركات القصيرة والطويلة والزوائد فوظيفتها تأدية المعاني الاشتقاقية والصرفية، كتَبَ، كاتب، كُتِب، مكتب.

(د) يقوم معظم جذور الكلمات السامية على ثلاثة أحرف، وقليل مكون من حرفين مثل أب أخ أو فوق الثلاثة مثل أرنب، قنفذ، عقرب.

(هـــ) امتازت اللغات السامية بوجود عدد كبير من صيغ الفعل الدلالية التي قلما توجد في عائلات لغوية أخرى، نحو: فعَل، فعّل، أفعل، فاعل ، تفعّل، افتعل، انفعل، تفاعل، استفعل، افعلّ، افعوّل، افعوعل.

(و) ندرة صيغ الدمج الذي نصادفه في اللغات الأوربية مثلاً حيث تدمج كلمتان أو ثلاث لتصبح واحدة كما في الإنجليزية bodyguard المدموجة من (Body+gaurd) و (homework) المدموجة من (home+work)، لكن هناك في الساميات وخاصة العربية ألفاظ قليلة جاءت عن طريق ما يسمى بالنحت وهو غير الدمج مثل حمدله وبسمله وجعفل.

(ز) وجود علامات إعرابية تدل على الموقع الإعرابي أو الحالة التركيبية: المسند إليه، الاسم المسند، و المضاف إليه، إلخ ...، وعلى نصب المضارع وجزمه، وقد فقدت بعض اللغات السامية هذه العلامات ولكن العربية احتفظت بالعلامات الأصلية: الفتحة والضمة والكسرة والسكون وهناك علامات فرعية كنيابة حركة عن حركة، وحرف عن حركة عن حرف والحذف ...)

(ح) وجود صيغ للتثنية في الأسماء والضمائر المنفصلة والمتصلة الدالة على المخاطب والغائب.

(ط) اتساع النزعة الفعلية في اللغات السامية، أي أن هناك اهتمام بالفعل بدليل وجود صيغ متعددة له وهناك اشتقاقات لأفعال من أسماء جامدة مثل بطن فلان أي أصابه مرض في بطنه وكبدته أي أصبت كبده.

(ي) تمييز المخلوقات والأشياء إلى مذكر أو مؤنث ولا ثالث لهما، نحو شمس، بئر، سماء، وجبل، قمر، ليل، نهار.

جدول أصوات اللغات السامية

السامية الأم		الأكادية	الأوغاريتية	العبرية	الآرمية	العربية	السبئية	الإثيوبية
پ	p	p	p	p	p	f	f	f
ب	b	b	b	b	b	b	b	b
م	m	m	m	m	m	m	m	m
ث	t̲	š	t̲	š	t	t̲	t̲	s
ذ	d̲	z	d̲	z	d	d̲	d̲	z
ظ	ẓ	ṣ	ẓ	ṣ	ṭ	ẓ	ẓ	ṣ
ض	ḍ	ṣ	ṣ	ṣ	ʾ	ḍ	ḍ	ḍ
ت	t	t	t	t	t	t	t	t
د	d	d	d	d	d	d	d	d
ط	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ
ن	n	n	n	n	n	n	n	n
ل	l	l	l	l	l	l	l	l
ر	r	r	r	r	r	r	r	r
س	s	s	s	s	s	s	S[3]	s
ز	z	z	z	z	z	z	z	z
ص	ṣ	ṣ	ṣ	ṣ	ṣ	ṣ	ṣ	ṣ
ś		š	š	ś	s	š	S[2]	s
ش	š	š	š	š	š	š	S[1]	s
ك	k	k	k	k	k	k	k	k
g		g	g	g	g	j	g	g
ق	q	q	q	q	q	q	q	q
خ	h̲	h̲	h̲	ḥ	ḥ	h̲	h̲	h̲
غ	ġ	ʾ	ġ	ʾ	ʾ	ġ	ġ	ʾ
ح	ḥ	ʾ	ḥ	ḥ	ḥ	ḥ	ḥ	ḥ
ع	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ
هـ	h	ʾ	h	h	h	h	h	h
ء	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ

الاختلافات بين العربية واللغات السامية

العربية هي أكثر اللغات السامية احتفاظاً بسمات السامية الأولى فقد احتفظت بمعظم أصوات اللغة السامية وخصائصها النحوية والصرفية.

١- فقد احتفظت بأصوات فقدتها بعض اللغات مثل: غ، خ، ض، ظ، ث، ذ. ولا ينافسها في هذه المحافظة إلا العربية الجنوبية. (قارن جدول الأصوات السامية ومقابلاتها)

٢- احتفظت العربية بعلامات الإعراب بينما فقدتها اللغات السامية الأخرى.

٣- احتفظت بمعظم الصيغ الاشتقاقية للسامية الأم، اسم الفاعل، المفعول. وتصريف الضمائر مع الأسماء والأفعال: بيتي، بيتك، بيته، رأيته، رآني.

٤- احتفظت بمعظم الصيغ الأصلية للضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.

٥- يضم معجم العربية الفصحى ثروة لفظية ضخمة لا يعادلها أي معجم سامي آخر. ولهذا أصبحت عونا لعلماء الساميات في إجراء المقارنات اللغوية أو قراءة النصوص السامية القديمة كنصوص الآثار الأكادية والفينيقية والأوغاريتية وحتى نصوص التوراة العبرية.

الاختلافات بين العربية والسامية الأم

بالرغم من أن العربية هي أكثر اللغات السامية احتفاظا بالسمات السامية القديمة، الصوتية منها والصرفية، وهي بهذا أقرب هذه اللغات إلى السامية الأولى، إلا أن هناك اختلافات بينها وبين أمها الأولى، وهذه الاختلافات يمكن تصنيفها كالتالي:

الاختلافات صوتية:

(١) تغيرت بعض الأصوات السامية في العربية:

g > j (ج)

P > f (ف)

Š > S (س) فأصبح صوت (ش) السامي و (س) السامي ينطقان في العربية (ش).

Ś > Š (ش)

(٢) القلب المكاني لبعض الكلمات مثل: بركة > ركبة ، ويدلنا على انقلابها من بركة ما نجده في الأوغاريتية brkm والأكادية burku ، وقد بقي من ركام هذا الأصل في العربية الفعل (برك) أي نزل على ركبه (< بركه).

(٣) تغييرات صوتية في بعض الكلمات

* أبّن "مدح الميت" < أبّل ، قارن:

الأغريتية *?bla* (أبل)

العبرية אבל (أبل)

الآرمية אבל (أبل) ''ينعى''

* واحد < أحد قارن:

الأغريتية ?hd

العبرية ?hhöd

غنب (قارن الأغريتية *ġnb*) عنب "فاكهة معروفة"

* أرملة < [ألمنة*] < ألم، قارن:

الأغريتية *?lmnt* (ألمنت)

الأكادية *almattu* (ألْتّو)

العبرية אלמנה (ألْنا)

اختلافات صرفية

(١) تغير صيغة تفعل السامية إلى افتعل، نحو اكتسب (< تكسب)، اختبر (< تخبر).[٢١]

(٢) أداة التعريف في العربية الـــ وفي العبرية هـــ ، ويرى بعض علماء الساميات أن هناك علاقة بين أداة التعريف واسم الإشارة، وعليه يرجح هؤلاء أن أداة التعريف في السامية الأم كانت هل (*hal*) وحذفت الهاء من العربية وأصبحت الـــ ، وحذفت ل من البرية وأصبحت هـــ .

(٣) إقحام النون في بعض المفردات، نحو أنف (أف) قارن الأكادية *ʾappu* ، والأوغاريتية *ʾp* والعبرية *ʾapp* ؛ أنثى (أثنى) قارن الأوغاريتية *ʾtt* (أثت) والأكادية *ʾaššatu* (أشّتو).

(٤) تغير بعض الضمائر المتصلة، مثل:

- تغير ضمير الفاعلات: قتلا (أي قتلن) إلى قتلنَ قياسا على المضارع (يقتلن).

الأكادية	العبرية	العربية	الأثيوبية
qabrā قبـــرا	*qābrū* قبـــرو	*qabarna* قبـــرن	*qabarā* قَبَرا

[21] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ٢٣٤.

– تغير بعض الضمائر المتصلة، مثل: تغير ضمير الفاعلات: قتلا (أي قتلن) إلى قتلنَ قياسا على المضارع (يقتلن). وتغير ضمير المتكلم المتصل بالماضي إلى ت في نحو كتبتُ والأصل كتبكُ لأننا نجده في اللغات السامية على هذا النحو:

الأكادية	الحبشية	المهرية	العبرية	العربية
--ku	*--ku*	*--ku*	*--ti*	*--tu*

– زيادة ميم في أول اسم المفعول، فعول > مفعول، قارن:

العبرية	السريانية	الأثيوبية
qabūr قابور	*qaبīr* قَبـــيـــر	*qaبūr* قَبور

اختلافات دلالية:

أي تغير معنى لفظة عن معناها الأصلي إلى معنى خاص، ومن أمثلة ذلك:

لحم: التي يبدو أنها كانت تعني "الطعام" ثم تغير معناها في العربية بسبب التخصيص إلى "لحم الحيوان" وفي العبرية إلى "خبز" وفي السريانية إلى "طعام" و "خبز".

هلك: كانت تعني سار ورحل وهذا معناها في العبرية والآرمية، ولكنها أصبحت تعني في العربية "مات" وهذا التغيير حدث بسبب التلطف في ذكر الموت، قارن رحل أي مات. ولكنها فيما بعد أصبحت أقوى في الدلالة من مات نفسها. ولذلك استخدم فعل رحل بدلها.

أهل: يبدو أن معناها كان "خيمة" ثم استعملتها العرب مجازا للزوجة والأبناء، باعتبارهم من يسكنون داخل الخيمة.

الاشتقاق[٢٢]

اختلف العرب حول تعريف الاشتقاق:

(أ) عرفه الرماني بأنه "اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه (حروف ذلك) الأصل"

(ب) وأورد أبو البقاء له تعريفين: (١) رد كلمة إلى أخرى لتناسبهما في اللفظ والمعنى، و(٢) أخذ كلمة من أخرى بتغيير ما في الصيغة مع التناسب في المعنى"

يلاحظ هنا أنه يوجد اختلاف بين التعريفين فأحدهما عبر فيه بـــ (اقتطاع) والآخر بـــ (رد). فما سبب هذا الاختلاف؟ أجاب عن هذا التهانوي في كتابه *كشاف اصطلاحات الفنون* حيث قال إن هذه التعريفات على ضربين:

الأول تعريف بحسب العمل (اقتطاع) وهو أي تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجعله دالا على معنى يناسب معناه. وهذا ما نفعله حين نشتق المشتقات القياسية كاسم الفاعل واسم المفعول واسم المكان واسم الزمان من الفعل حسب قواعد اشتقاقية معينة. فالمأخوذ مشتق والمأخوذ منه مشتق منه ولسنا مطالبين بالسماع. وهذا يعبر عنه في علم اللغة باصطلاح: Derivation.

والثاني بحسب العلم وعبر عنه بـــ (رد) وهو أن تجد بين اللفظين تناسبا في أصل المعنى والتركيب فترد أحدهما إلى الآخر، فالمردود مشتق والمردود إليه مشتق منه، وهذا الذي ذكره يشبه ما يعبر عنه باللغات الغربية باصطلاح Etymology وهو أن تنسب كلمة إلى أصل معنى جذرها، مثل (جنين) و(جنن) و(جنة) المأخوذة من (جن) الذي يدور حول معاني "التغطية والستر."

وهناك أمر ثالث مختلف عما ذكر وقد يخفى على بعض الدارسين فيعتبرونه من النوع الأول ألا وهو التصريف وهو تغير في هيئة الكلمة لتوافق التركيب في الجملة وما يقتضيه من حيث الزمان أو العدد أو الفرد أو الجنس مثل ذهب، ذهبوا، ذهبتُ، ذهبتَ؛ وعامل، عاملان، وعاملون.

[22] انظرفؤاد ترزي، الاشتقاق.

أصل المشتقات

الاختلاف في أصل الاشتقاق

اختلف أهل اللغة في أصل الاشتقاق فذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه، وذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه نحو ضرب ضربا وقام قياما.

وأما **البصريون** فاحتجوا بما يلي:

١- المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين فكما أن المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل وبيان ذلك أنهم لما أرادوا استعمال المصدر وجدوه يشترك في الأزمنة كلها لا اختصاص له بزمان دون زمان فلما لم يتعين لهم زمان حدوثه لعدم اختصاصه اشتقوا له من لفظه أمثلة تدل على تعين الأزمنة ولهذا كانت الأفعال ثلاثة ماض وحاضر ومستقبل لأن الأزمنة ثلاثة ليختص كل فعل منها بزمان من الأزمنة الثلاثة فدل على أن المصدر أصل للفعل

٢- المصدر اسم والاسم يقوم بنفسه ويستغنى عن الفعل وأما الفعل فإنه لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى الاسم وما يستغنى بنفسه ولا يفتقر إلى غيره أولى بأن يكون أصلا مما لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى غيره

٣- الفعل بصيغته يدل على شيئين الحدث والزمان المحصل والمصدر يدل بصيغته على شيء واحد وهو الحدث وكما أن الواحد أصل الاثنين فكذلك المصدر أصل الفعل

٤- المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل والفعل له أمثلة مختلفة كما أن الذهب نوع واحد وما ويوجد منه أنواع وصور مختلفة.

٥- الفعل بصيغته يدل على ما يدل عليه المصدر والمصدر لا يدل على ما يدل عليه الفعل ألا ترى أن ضَرَب يدل على ما يدل عليه الضرب والضرب لا يدل على ما يدل عليه ضَرَب، وإذا كان كذلك دلّ على أن المصدر أصل والفعل فرع لأن الفرع لا بد أن يكون فيه الأصل وصار هذا كما تقول في الآنية المصوغة من الفضة فإنها تدل على الفضة والفضة لا تدل على الآنية وكما أن الآنية المصوغة من الفضة فرع عليها ومأخوذة منها فكذلك هاهنا الفعل فرع على المصدر ومأخوذ منه

٦- لو كان المصدر مشتقا من الفعل لكان يجب أن يجرى على سنن في القياس ولم يختلف كما لم يختلف أسماء الفاعلين والمفعولين. فلما اختلف المصدر اختلاف الأجناس كالرجل والثوب والتراب والماء والزيت وسائر الأجناس دل على أنه غير مشتق من الفعل

٧- لو كان المصدر مشتقا من الفعل لوجب أن يدل على ما في الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وذات الفاعل والمفعول به فلما لم يكن المصدر كذلك دل على أنه ليس مشتقا من الفعل.

٨- تسمية المصدر مصدرا دليل على أصالته، لأن (المصدر) في اللغة هو الموضع الذي يُصدَر عنه ولهذا قيل للموضع الذي تصدر عنه الإبل مصدر فلما سمي مصدرا دل على أن الفعل قد صدر عنه.

أما **الكوفيون** الذين قالوا بأن المصدر مشتق من الفعل فاحتجوا بما يلي:

١- المصدر مشتق من الفعل لأن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ألا ترى أنك تقول قاوم قِوَاما فيصح المصدر لصحة الفعل، وتقول قام قياما فيعتل لاعتلاله، فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه.

٢- الفعل يعمل في المصدر، ألا ترى أنك تقول ضربت ضربا فتنصب ضربا بضرب، فوجب أن يكون المصدر فرعا للفعل لأن رتبة العامل قبل رتبة المعمول.

٣- المصدر يذكر تأكيدا للفعل، ولا شك أن رتبة المؤكَّد قبل رتبة المؤكِّد فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع.

٤- هناك أفعال لا مصادر لها خصوصا على أصلكم وهي نعم وبئس وعسى وليس وأفعال التعجب فلو كان المصدر للزم وجود الأصل هنا وهو مصادر هذه الأفعال.

وذكر فؤاد ترزي حججا فات الكوفيين إيرادها لتعضيد رأيهم، منها:

٥- المصدر اسم لمعنى وأسماء المعاني أسماء مجردة لا يمكن أن تكون أصولاً لألفاظ أقرب منها إلى التجسيد واللغات كما هو معروف تسير في تطورها من التجسيد إلى التجريد لا العكس.

٦- إن لكثير من الأفعال مصادر متعددة والمعقول أن يشتق المتعدد من الواحد لا الواحد من المتعدد، من ذلك مثلا (مكث) الذي ذكر من مصادره: مَكْث، مُكْث، مَكَث، مكوث، مُكْثان، ... إلخ.

رأي عبدالله أمين

يرى عبدالله أمين إن أصل المشتقات جميعاً ليس الفعل ولا المصدر، وإنما شيء غيرهما هو الأسماء الجامدة وأسماء الأصوات. الأسماء الجامدة المرتجلة التي لم تشتق من غيرها، نحو: شجر، حجر، سماء، ماء، بطن، يد. وأسماء الأصوات هي حاحا للغنم وسأسأ للحمير، قعْ، دنْ، غاقْ،

قبْ. هذه اشتق منها الفعل، ومن الفعل اشتق المصادر وبقية المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان ...إلخ. ويمكن بيان ذلك كالتالي:

أسماء الأصوات، والأسماء الجامدة > أفعال > مصادر ومشتقات أخرى

النقد: (١) إنه ينفي أن تكون الأفعال مرتجلة وهي جزء مهم من اللغة متعلق بنشاط الإنسان منذ وجد على البسيطة كالكسر والشق والدق والقطع و لا يعقل ألا يضع الإنسان كلمات لهذا النوع من النشاط.

(٢) هناك أفعال كثيرة لا تنتمي إلى أسماء جامدة أو إلى أسماء أصوات نحو علم، سار، نام، جلس، وغيرها لذا كان لا بد من افتراض ارتجالها.[٢٣] إضافة إلى أن هناك أفعالا لا تنتمي إلى اسم من أسماء المعاني وأسماء الأعيان والأصوات مثل علم وسمع وجمع.

الجذر

الجذر: هو الحروف الأصلية المشتركة بين كلمات معينه تشترك في معنى عام، مثل (ج.ن) التي تتكرر في: جنَّ- جَنه – جَنان –جنين – جُنة، جَنَن.

آراء العلماء في الجذر: قال بعضهم هي كلمات كان لها في مرحلة من تاريخ اللغة معان معينة. وقال آخرون إن الجذور ما هي إلا افتراضات استنتجت من المشتقات ولا وجود لها إلا في أذهان بعض اللغويين.

الصلة بين الجذور والمشتقات:

هناك علاقة صوتية فبين جَنة – جَنان –جنين – جُنة، جَنَن وجود الجيم والنون. ثم هناك علاقة دلالية معنوية لأن معاني هذه الألفاظ تشترك في معنى عام هو "التغطية والستر"

أمثلة أخرى:

غ ف ر (التغطية)

غفر: غطى؛ الغفارة: غطاء للمرأة؛ مغفر: البيضة التي يضعها الفارس على رأسه؛ غفر: عفا (غطى على ذنبه)؛ الغفير : الكثير (لأنه يغطي).

ع ف و (التغطية والنماء)

عفا: نما وطال (يغطى)، العفاء: الريش والشعر (شيء ينمو ويغطي).

عفا: غفر له (غطى على ذنبه) عفت الديار: طمست (غُطيت).

[23] ترزي، ٧٠.

أصل الجذور العربية

النظرية الأحادية عند عبدالله العلايلي

اللغويون القدماء كانوا يقسمون أصول (جذور) الكلمات العربية إلى ثلاثية ورباعية وخماسية، ووضعوا الميزان الصرفي على ثلاثة حروف فعل، وإذا زيد حرف أضيف لام في آخر الميزان.

وفي العصر الحديث، وبسبب اطلاع العرب على الدراسات الغربية المتعلقة بأصول اللغة الهندوأوروبية التي تفترض أن الأصل القديم لجذورها كان مكونا من حرفين، وسموا هذه النظرية الثنائية – ظهر من بين علماء اللغة من افترض أن أصل الجذور العربية ثنائي، ومنهم افترض أن أصول اللغات جميعا كان أحاديا.

النظرية الأحادية عند عبدالله العلايلي

يرى عبدالله العلايلي أن الجذور الثنائية والثلاثية قد تطورت عبر ثلاثة أطوار:

الطور الأول: الحرف الواحد، وقد كانت فيه الجذور مؤلفة من أحد حروف الهجاء: ب ، ط ، ق ، ....إلخ، بمعنى أن الإنسان القديم استعمل هذه الحروف ألفاظا ذات دلالة، وقد لازم هذا المعنى الحرف حتى بعد أن أصبحت الكلمات مركبة من أكثر من حرف. وقد قام العلايلي بوضع ما سماه الجدول الهجائي بيّن فيه معاني الحروف الهجائية: نقتطف منه:

أ = الجوفية	ش = التفشي، نبات
ب = القوام الصلب ، بيت	ض = الغلبة
ت = اضطراب	ع = خلو الباطن
ج = العِظم، الارتفاع	غ = كمال المعنى في الشيء
خ = الانتشار	ق = المفاجأة
ذ = التفرد	د = التصلب
س = السعة	م = الانجماع
ر= رأس	ل = الملاصقة والمماسّة

ويزعم العلايلي أن معاني هذه الحروف بقيت ملازمة لها في الكلمات بعد أن اصبحت ثلاثية، وقد ضرب لذلك الأمثلة التالية:

شجرة: ش = نبات ؛ ج = ارتفاع ؛ ر = رأس، أي: نبات عظيم له رأس، وهذا في رأيه يعني شجرة.

جبل: ج = ارتفاع ؛ ب = بيت ؛ ل = الملاصقة، أي: شيء مرتفع كالبيت ملتصق بالأرض وهذا هو الجبل.

جمل: ج = ارتفاع ؛ م = ماء > سحاب > ارتفاع ؛ ل = ملاصقة ومماسّة، أي شيء مرتفع يلامس السحاب، وهذا في رأيه تصور الإنسان القديم للجمل.

الطور الثاني: تكوُّن كلمات مؤلفة من مقطعين، وهو دور نشأ من محاكاة أصوات الطبيعة، مثل: عو "حيوان مفترس"؛ ومنه جاء عوى، أي صوت الحيوان المفترس.

الطور الثالث: نشوء الجذور الثلاثية عن طريق إضافة حرف في الوسط، مثل: عبل "الضخم" أصلها (عل) زيدت عليها اللام، وفي رأيه أنّ مشتقات (عل) الثلاثية تدل على معنى الضخامة:

العَل: ذكر الماعز الضخم، القراد الضخم.

العتَلة: الهراوة الضخمة والعصا الغليظة.

العَثِل: الغليظ الضخم.

الفرق بين رأي العلايلي وابن جني في نسبة المعاني إلى الحروف:

لم يكن العلايلي أول من نسب معان إلى الحروف، فقد عرفنا في تاريخ الدراسات اللغوية أن ابن جني كان ينسب معانٍ إلى الحروف، ففي فصل (إمساس الألفاظ اشباه المعاني) في الخصائص نجده يقول: " كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت [حذو] الأحداث المعبر بها عنها...، من ذلك قولهم: خضَم وقضَم. فالخضْم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

ويبين في موضع آخر أن العرب قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها وتقديم ما يناسب أول الحدث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب. وذلك قولهم: (بحث). فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث والبث للتراب.

ولكن هناك فرقا جوهريا بين رأي الرجلين، العلايلي ينسب إلى الحروف معان وضعية (اصطلاحية)، بينما ابن جني ينسب إليها معانٍ طبيعية محاكية.

نظريات ثنائية الجذور العربية

(أولاً) أحمد فارس الشدياق (ت ١٨٧٨م)

يرى عدد من علماء اللغة المحدثين أن أصل الكلم (الجذور العربية) كانت في أول أمرها ثنائية، أي مؤلفة من حرفين فقط. أول من قال بهذا الرأي هو أحمد فارس الشدياق (ت ١٨٧٨ م) وبنى عليه كتابه المعجمي (سر الليال في الإعلال والإبدال). والشدياق لم يفصح بشكل صريح اعتناقه للنظرية الثنائية، غير أن طريقته في معالجة تقليبات الأفعال العربية -كما أشار فؤاد ترزي- هي التي تشعرنا بذلك[٢٤] لأننا نراه يجعل مقلوب بخّ خب، ومقلوب عبّ بع. ويبيّن أن غرضه من هذا الأسلوب الذي اعتمده في (سر الليال) هو:

* تقديم مفردات المعجم العربي منسقة حسب التلفظ بها وإيضاح تجانسها ومعانيها.
* إيراد الألفاظ المقلوبة والمبدلة.
* استدراك ما فات الفيروزآبادي من لفظ أو إيضاح أو شاهد أو ترتيب.

مسوغات اعتبار الثنائي المضعف أصلا للكلام:

(١) معظم اللغة مأخوذ من حكاية صوت أو حكاية صفة، وهذا لا يأتي إلا من المضاعف نحو: دبّ ، ودفّ ودقّ وهزّ وسفّ وقرّ ودنّ حنّ. وعند الزيادة في المعنى يأتون بهزْهَز وما هو إلا هزْ هزْ. والواضع عندما وضع هذه الأفعال في الأصل لم يقصد أن تكون فعلا أو اسما وإنما حكاية صوت، ولما وصله بفاعله نطقه دقّ وقرّ.

(٢) اللغة كغيرها من الصنائع تتدرج نحو الكمال، لذا فالأولى أن يكون السالم قد جاء آخر الأفعال، وقبله جاء المضاعف كطبّ وضرّ وصرّ وجبّ وصبّ وبعده غالبا يجيء الأجوف كطاب وضار وصار وجاب وصاب، وأما النقص فإنه صدى غيره من من الأفعال، فكأن فيه قطع نحو: همر > همى ، محق > محا ، أسفٌ > أسى.

(٣) ترتُّب المزيد على المضاعف لا يكاد يتخلف، فليس هناك معنى في المضاعف إلا ونرى في مزيده (الثلاثي) مثلَه أو ما يقاربه، نحو سلّ > سلب > سلت ، غمّ > غمر، غمس، غمض ، رجّ > رجف.

[24] فؤاد ترزي، الاشتقاق

(٤) إن زيادة حرف على المضاعف أليق بحكمة الواضع من نقص حرف مـــن الثلاثـــي، لأن النقص ليس من مذهب العرب لأن نراهم يزيدون على الفعل بصيغ كثيرة.

(٥) إنا نجد أفعالا مجهولة الأصل وأصلها في الثنائي معلوم نحو امتخر "استخرج المخ" فهو لا بد أنه من الثنائي المضعف المزيد "امتخّ" لأنه لم يأت من مخر هذا المعنى.

(ثانيا) أنستاس الكرملي

نشوء اللغة العربية

يرى الكرملي أنّ الكلمات العربية في الأصل كانت هجاء واحدا (متحرك فساكن) محاكيا لأحد أصوات الطبيعة، مثل صرْ، ثم تلاه المضاعف، مثل صرَ، صرصر، فالأجوف، صار "صوّت عامّة" والناقص بسب إطالة الحركة، صرى ، وخصوا معناه بالقطع، ثم المهموز، صرأ، فالمثال وصر، وفي آخر الأمر ظهر الثلاثي الصحيح، مثل صرخ. ويرى أن نشوء الثلاثي الصحيح جاء إما بزيادة حرف أول الثنائي أو في وسطه أو في آخره. ورأيه هذا يعكس رأي جورجي زيدان، لكن الجديد فيه وضع مصطلحات جديدة لأنواع الزيادة التي ذكرها:

التصدير: زيادة حرف في أول الثنائي ليصبح ثلاثيا، في مثل: ثرم ، جرم ، حرم ، خرم ، صرم ، شرم . الأصل هو (رم) ويعني الأكل، القطع.

الحشو: زيادة حرف في وسط الثنائي ليصبح ثلاثيا، في مثل: رتم ، رثم ، رجم ، ردم ، رسم ، رضم ، رطم ، ركم ، رغم. وأصل هذه كلها هو (رم) ويعني هنا الكسر أو الضرب.

الكسع: زيادة حرف في آخر الثنائي ليصبح ثلاثيا، في مثل: نبت ، نبث ، نبش ، نبع ، نبط ، نبغ ، نبل. الأصل الثنائي نب (نب التيس: صوّت). ويبدو لنا أنه من الصعب افتراض معنى الصوت في نبت ونبع ونبل، غير أنه يمكننا افتراض أن المعنى العام الذي ينطبق على هذه الجذور هو الانبعاث والظهور.

(ثالثا) موسكاتي Moscati

نحو اللغات السامية المقارن

تعرض عالم الساميات موسكاتي Moscati وزملاؤه مؤلفو كتاب (نحو اللغات السامية المقارن) لمسألة الأصل الثنائي للجذور السامية. ونراهم لا يميلون إلى تعميم نظرية الجذر الثنائي كما فعل الكرملي وزيدان، وإنما يميلان إلى أن الجذور الثنائية كانت موجودة منذ البداية بجانب الجذور الثلاثية والرباعية. ويذهبان إلى أن بعض الجذور الثلاثية ربما تطورت عن جذور ثنائية، ويقدمان لهذا الرأي المسوغات التالية:

(١) وجود مجموعات من الأفعال الثلاثية التي يتكرر فيه حرفان وتفيد معنى عام، مثل: فرد، فرم، فرق، فرس، فرض، فرج التي تفيد معنى "التفريق والانفصال" والحرفان (فر) اللذان يتكرران يمثلان أيضا جذرا ثنائيا من مشتقاته ﴿فرّ﴾ التي تفيد أيضا معنى الابتعاد وهو مشابه للانفصال.

(٢) احتواء اللغات السامية على كلمكات ثنائية قديمة مما يدل على قدم الظاهرة الثنائية:

أعضاء للبدن: يد، شفـ(ـة)، رئـ(ـة)، دم، كف، سن، فم.

أسماء للقرابة: أب، أم، أخ، أخـ(ت)، حم، عم، جد.

(٣) وجود عدد كبير من الأفعال المشتملة على حرف علة، مما يوحي بزيادته في مرحلة متأخرة على الجذور الثنائية، مثل: قام < قَم، وصل < صل، طما < طَم. وهذه الجذور الثلاثية تفقد حرف العلة في بعض تصريفاتها: قام > قُمْتُ، وصل > يصِل، طما > طمَتْ.

(٤) مقارنة بعض الجذور السامية ببعض مقابلاتها في اللغات الحامية -التي يثعتقد أنها تعود معها إلى أصل سامي حامي قديم- يُظهر وجود الأصل الثنائي في الحامية:

سامي	حامي
قتل	قل
فعل	فل

وللرد على من يؤيد النظرية الثلاثية بإشارته إلى أن بعض الجذور الثنائية تَظهر ثلاثية في بعض تصريفاتها في مثل: أب > أبوان، دم ، أم > أمهات > أخ > أخوان، يقول المؤلفون إن هذه الزيادة لم تكن من البداية وإنما حدثت متأخرة لتجعل الجذور الثنائية تنسجم مع الجذور الثلاثية التي أصبحت تمثل الطابع العام للتركيب بعد شيوعها.

أصل ما فوق الثلاثي

إنّ الاختلاف حول أصل الجذور العربية لم يقف عند أصل الثلاثي بل تعداه إلى ما فوق الثلاثي كالرباعي والخماسي. وإن لم يقل أحد بأن الثلاثي مشتق من الثنائي إلا في العصر الحديث، فإن الوضع مختلف بالنسبة للرباعي؛ لأن أحمد بن فارس الذي عاش في القرن الرابع الهجري كان يرى أنه منحوت من الثلاثي.

(أولاً) رأي أحمد ابن فارس

لقد صرح أحمد بن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) بأن بعض الألفاظ فوق الثلاثية (الرباعية والخماسية) مأخوذة من الثلاثية، حيث قال: "و.. مذهبنا فِي أنّ الأشياء الزائدة عَلَى ثلاثة أحرف أكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد (ضَبَطرٌ) وَفِي "الصِّلِّدْم" إنه من "الصَّلد" و "الصَّدْم". وَقَدْ ذكرنا ذَلِكَ بوجوهه فِي كتاب مقاييس اللغة." وقد طبق نظريته هذه في كتاب (مقاييس اللغة) حيث يقول: "اعلم أنّ للرُّباعيّ والخُماسيّ مذهباً في القياس، يَستنبِطه النَّظرُ الدَّقيق. وذلك أنّ أكثر ما تراه منه منحوتٌ، ومعنى النَّحت أن تُؤخَذَ كلمتان وتُنْحَتَ منهما كلمةٌ تكون آخذةً منهما جميعاً بحَظَ." ويفصل طرق مجيء الربعي من الثلاثي على النحو التالي:

(أ) ما جاءَ منحوتاً من كلام العرب في الرُّباعي

* بحثر: بَحْثَرْتُ الشيءَ، إذا بَدّدته، وَالبَحْثَرَة: الكَدَر في الماء. وهذه منحوتةٌ من كلمتين: من بحْتُ الشَّيء في التراب ومن البَثر الذي يَظْهَر على البَدَن.

* المُغَثْمَر: الثَوْب الخشنُ الرَّدىء النَّسْج، وهذه منحوتةٌ من كلمتين: من غثم وغثر، أمّا غثر فمن الغُثْر، وهو كلُّ شيء رديء. وأمّا غثم فمن الأغثم: المختلط السَّواد بالبياض.

* صلدم: الحافر الصلب، محوت من صلد، و صدم.

* جمهور: الرملة المرتفعة، وهي منحوتة من جمر "اجتمع" وجهر "علا."

* الثُّفروق: قِمع التمرة، وهي منحوتة من الثفر "المؤخر" ومن فرق.

* جُذمور: أصل السعفة، وهي منحوتة من الجِذم "الأصل"، ومن الجذر وهو "الأصل" كذلك.

* جرثومة: قرية النمل، وكأنها منحوتة من جرم "قطع" و"جثم"، أي اقتطع قطعة من الأرض فجثم فيها.

* الجلمود: الصخرة، وهي منحوتة من الجلد "الصلب" وجمد "اليابس".

(ب) ما زيد فيه حرف للمبالغة

* بلعوم، مأخوذ من بلع، وزيدت إليه الميم للمبالغة.
* ثعلب: مخرج الماء، مأخوذ من ثعب، واللام زائدة.
* البَرْغَثة، الراء فيه زائدة وإنما الأصل بغث. والأبغث من طير الماء كلون الرَّماد، والبَرْغَثَةُ لونٌ شبيهٌ بالطُّحْلة (بين الغبرة والسواد)، ومنه البُرْغُوث.
* البَرْجَمَةُ: غلَطُ الكَلام، فالراء زائدةٌ، وإنَّما الأصل البَجْم. قال ابنُ دريد: بَجَم الرّجُل يَبْجُمُ بُجُوماً، إذا سكَتَ من عِيَ أو هَيْبَة، فهو باجِمٌ.
* بَرْعَمَ النَّبْتُ إذا استدارَتْ رُءُوسُه، والأصل بَرَع إذا طال.
* الفَرقَعة: تنقيضُ الأصابع، وهذا مما زيدت فيه الراء، وأصله فَقَع.

(جـ) ما وضع وضعا، مثل:

* البُهْصُلَةُ: المرأة القَصيرة.
* البَلْعَثُ: السّيِء الخُلُق.
* الخَشْرَم: الجماعة من النَّحْل، إنَّما سمِّي بذلك لحكاية أصواته.
* المُخَضْرَمُ الحسبِ: الدعِيُّ. ولحمٌ مخضْرَم: لا يُدرَى أمن ذكرٍ هو أو من أنثى.

(ثانياً) رأي هنري فليش في أصل الأفعال والأسماء فوق الثلاثية

يلخص المستشرق هنري فليش في كتابه (العربية الفصحى) مصادر الأفعال الرباعية والأسماء الرباعية والخماسية على النحو التالي:[٢٥]

أصل بعض الأفعال الرباعية

يرى فليش أن بعض الأفعال الرباعية قد أتت عن طريق أحد التطورات التالية:

(أ) تطور الأصل الثلاثي عن طريق إحدى التغييرات التالية:

(١) تكرار الحرف الأول بعد الحرف الثاني ٣١٢١، مثل طرب > طرطب "اضطرب الماء في القربة."

(٢) فك تضعيف الصيغة الفعلية الثانية (فعّل < فعْعَل) بإبدال العين الساكنة أحد الحروف التالية:

(ر) مثل: فقّع > فرقع "انفجر بصوت."

[25] لقد استعضنا عن بعض أمثلته من العاميات، بأمثلة من الفصحى.

(ل) سحب > سلحب "امتدّ."

(ن) مثل: جدّل "قطع" > جنـــدل "قتل."

(٣) توسيع الأصل الثلاثي بزيادة أحد الحروف التالية:

(ر) مثل: شمخ "علا" > شمخر "تكبّر."

(ل) شمع "تفرق" > شمعل "تشتت."

(س) غطر "أومأ بيديه" > غطرس "الظلم" أي "الخبط باليد عشوائياً."

(٤) إقحام (و) أو (ي) بعد الصامت الثاني، في مثل:

(و) حقل "لان وضعف" > حوْقل "أعيا،" يقال حوْقل الشيخ: إذا مشى فأعيا.

(ي) نسب "عزا كلاما إلى آخر" > نيـــسب "سار بالنميمة."

(ب) تكرار عنصر ثنائي بإحدى الطرق التالية:

(١) تكرار الحرفين الأولين، في مثل: صرّ > صرصر، دنّ > دنـــدن، زلّ > زلـــزل، حـــلّ > حلحل.

(٢) تكرار الحرفين الصحيحين، في مثل: راق "صبّ" > رقرق "صبّ الماء برفق؛" وضُع "ضعف وانحطّ" > تضعضع "خفض وهان"

(٣) تكرار حرفين لخاصيتهما التعبيرية، في مثل: مضغ > ضغضغ "لاك اللقمة،" فخر > فخفـــخ "بالغ في مدح نفسه."

مصادر بعض الأسماء فوق الثلاثية

لقد ميّز فليش صيغا متعددة لطرق اشتقاق الأسماء فوق الثلاثية (أي الرباعية والخماسية) من جذور ثنائية وثلاثية على النحو التالي:

(أ) تكرار الحرف الأول بعد الحرف الثاني من الأصل الثلاثي ٣١٢١، في مثل:

قهر "إكراه" > قَهْقَر "الحجر الأسود الصلْب."

قَسْب "يابس" > قُسْقُب "غليظ."

(ب) تكرار الحرف الثالث من الأصل الثلاثي ٣٣٢١ في مثل:

قرد "اجتماع" > قَرْدَد "جبل،" قعد > قُعْدُد "خامل."

شمل "أسرع" > شملال "سريع."

رعد "ارتجف" > رعديـــد "جبان."

(ج) تكرار الحرف الثاني والثالث من الأصل الثلاثي ٣٢٣٢١ في مثل:

عرم "كُدْس، كَوْمة" > عرمْرم "جيش كثير العدد."

قطا "مشى متقارب الخطو" > قطوطى (في مشيته) "مشى بخطىً قصيرة."

(د) تكرار حرفي الثنائي ١٢١٢ على أحد الأوزان التالية:

فَلْفَل: بعبعة "تتابع الكلام،" جعجعة "صوت الرحى."

صَرصر "دويبة تصر."

فَسفس "البقّ."

نَعنع "النعناع."

فُلْفُل: بُلْبُل، هُدْهُد، فُلْفُل، خُلْخُل "خَلخال."

فِلْفِل: سِمسم، مِشمش، سِلسلة.

فُلافِل: قُصاقص، قُضاقض "اسمان للأسد،" جُثاجِث: شعر غزير.

القلب اللغوي والاشتقاق التقليبي

القلب اللغوي: تقديم حرف على آخر في الكلمة، وهو ظاهرة شائعة في حياة بعض الكلمات، ومن أمثلته:

جذب و جبذ: قطع

صاعِقة وصَاقِعة.

أنْبَض القَوْس وأنْضب: جبذ وترها لتصوّت.

اضمحلّ وامضحلّ الشيء: ذهب.

طريق طَامِس وطَاسِم.

قوس عُلط وعطل: لا وَتَر عليها.

عاث يَعِيث وعَثا يعثِي: أفْسد.

فَثَأْت القدر وثفأتها إذا سكنت غليانها.

مِزرَاب ومِرْزاب: ميزاب الماء.

رجل شَاكي السلاح وشائك: كامله.

في لسانه حُكْلة وحُلْكَة: عقدة.

رجل خُنافِر وفُناخِر: عظيم الأنف.

ويبدو أن السبب الرئيسي في القلب هو خطأ يرتكبه الصغار عند نطق الكلمات في بداية تعلمهم للغة، ومن ثم يشيع ويبقى في لغة الكبار حتى يصبح جزءا من اللغة.

واللغويون مختلفون حول ما يُعد قلبا، ويبدو لنا من قول النحاس[٢٦] أن القلب عند البصريين لا يكون إلا مع اتحاد اللغة، مثل شَاكي السلاح وشائك، وجرف هارٍ وهائِر؛ وعند الكوفيين يمكن أن يكون في لغتين نحو جَبَذ وجَذَب.

وذهب ابنُ دستوريه إلى إنكار القلب فقال في شرح الفصيح: في البِطِّيخ لغة أخرى طِّبيخ بتقديم الطاء وليست عندنا على القَلْب كما يزعُم ّاللغويون وقد بيَّنا الحجة في ذلك في كتاب إبطال القلب.

ويبدو لنا أن هناك ثلاث حالات للقلب:

الأولى: ما نسمعه في كلام الصغار، مثل قولهم أعطيناك > أطعيناك.

[26] السيوطي، المزهر

الثانية: ما يكون في لغتين مختلفتين: مثل: صاعقة وصاقعة، وجذب وجبذ.

الثالثة ما يكون في لغة واحدة وهو قليل نادر، مثل شائك وشاكي.

الاشتقاق التقليبي

يرى ابن جني أن التقليبات الستة للجذر الثلاثي هي نوع من الاشتقاق الذي سماها الاشتقاق الكبير، (ونحن هنا نسميه الاشتقاق التقليبي) ووصفه بقوله: هو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه.

ويمكن أن نبسط تعريفه على النحو التالي: رد التقليبات الستة للأصل الثلاثي إلى مدلول عام يضمها جميعا. وقد ضرب ابن جني أمثلة قليلة على هذا الاشتقاق في كتابه الخصائص، منها:

(ك ل م) يزعم أن معاني تقليباتها تدور حول: الدلالة على القوة والشدة. والمستعمل منها أصول خمسة، وهي: (ك ل م) (ك م ل) (ل ك م) (م ك ل) (م ل ك) وأهملت منه (ل م ك)، فلم تأت في ثبت، فمن ذلك الأصل أُخذ:

الأول (**ك ل م**)، منه الكلم للجرح. وذلك للشدة التي فيه، وقالوا في قول الله سبحانه: "دابة من الأرض تكلمهم" قولين: أحدهما من الكَلام، والآخر من الكِلام أي تجرحهم وتأكلهم، وقالوا: الكُلام: ما غلظ من الأرض، وذلك لشدته وقوته، وقالوا: رجل كليم أي مجروح وجريح، ومنه الكلام، وذلك أنه سبب لكل شر وشدة في أكثر الأمر ، وجرح اللسان كجرح اليد.

الثاني (**ك م ل**)، من ذلك كمَل الشيء وكمُل وكمِل فهو كامل. والتقاؤهما أن الشيء إذا تم وكمل كان حينئذ أقوى وأشد منه إذا كان ناقصاً غير كامل.

الثالث (**ل ك م**)، منه اللكم إذا وجأت الرجل ونحوه، ولا شك في شدة ما هذه سبيله. [لأنه أشد من الصفع واللطم].

الرابع (**م ك ل**)، منه بئر مكول، إذا قل ماؤها، والتقاؤهما أن البئر موضوعة إذا قل ماؤها كره موردها، وتلك شدة ظاهرة.

الخامس (**م ل ك**)، من ذلك ملكت العجين، إذا أنعمت عجنه فاشتد وقوي. ومنه ملك الإنسان، ألا تراهم يقولون: قد اشتملت عليه يدي، وذلك قوة وقدرة من المالك على ملكه، ومنه الملك، لما يعطى صاحبه من القوة والغلبة، وأملكت الجارية، لأن يد بعلها تقتدر عليها. فكذلك بقية الباب كله.

ومن ذلك تقليب (**ج ب ر**) فهي كما زعم تفيد معنى "القوة والشدة":

(١) منها (**ج ب ر**): جبرت العظم والفقير إذا قويتهما وشددت منهما والجبر: الملك لقوته وتقويته لغيره.

(٢) ومنها (**ج ر ب**): رجل مجرب إذا جرسته الأمور ونجذته فقويت منته واشتدت شكيمته. ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه وإذا حفظ الشيء وروعى اشتد وقوى وإذا أغفل وأهمل تساقط ورذى.

(٣) ومنها (**ب ج ر**): الأبجر والبجرة وهو القوي السرة.

(٤) ومنه (**ب ر ج**): البُرج لقوته في نفسه وقوة ما يليه به وكذلك البَرج لنقاء بياض العين وصفاء سوادها هو قوة أمرها وأنه ليس بلون مستضعف

(٥) ومنها (**ر ج ب**): رجبت الرجل إذا عظمته وقويت أمره. ومنه شهر رجب لتعظيمهم إياه عن القتال فيه وإذا كرمت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة وهو شيء تسند إليه لتقوى به. والراجبة: أحد فصوص الأصابع وهي مقوية لها.

(٦) ومنها (**ر ب ج**) الرباجي وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله قال: وتلقاه رباجيا فخورا تأويله أنه يعظم نفسه ويقوي أمره.

ووقد شعر ابن جني بصعوبة تطبيق فكرته فقال: اعلم أنا لا ندعى أن هذا مستمر في جميع اللغة كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة. بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه متعذرا صعبا كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهبا وأعز ملتمسا. بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقلب كان غريباً معجباً. فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاريه إلى المدى الأبعد.

نقد القول بالاشتقاق التقليبي

وقد انتقد ابن جني كثير من اللغويين الأقدمين والمحدثين، فمن الأولين، السيوطي الذي قال في شأن هذا الاشتقاق: "وهذا مما ابتدعه الإمامُ أبو الفتح ابن جنّي وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتَمداً في اللغة ولا يصحّ أن يُستنبط به اشتقاق في لغة العرب وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوة ساعده وردّه المختلفات إلى قَدْرٍ مشترك مع اعترافه وعِلْمِه بأنه ليس هو موضوع تلك الصّيغ وأن تراكيبها تفيد أجناساً من المعاني مغايرةً للقَدْر المشترك وسببُ إهمال العرب وعدمِ التفات المتقدمين إلى معانيه أن الحروف قليلةٌ وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكادُ تتناهى فخصُّوا كلّ

تركيب بنوعٍ منها ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعاً كثيرة ولو اقتصروا على تغاير الموادّ حـــتى لا يدلّوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه من حروف الإيلام والضّرب لمنافاتهما لهما لضاق الأمرُ جداً ولاحْتاجوا إلى ألوف حروفٍ لا يجدونها."

الإبدال

الإبدال: هو جعل حرف مكان آخر في الكلمة، مثل فناء الدار، وثِناء الدار، حيث جعل الثاء بدل الفاء؛ والإبدال أنواع:

الإبدال الصرفي (الشائع): وهو جعل حرف مكان آخر لضرورة لفظية: إما لتسهيل النطق أو لمجاراة الصيغة الشائعة، وهو إبدال مطرد ضروري عند جميع العرب، ويقع في حروف معينة يجمعها لفظ (طال يوم أنجدته) ومن أمثلته:

فَعَل	افتعل قبل التغيير	افتعل بعد التغيير	تغيير	تغيير
صفا	اصتفى	اصطفى		
ضرب	اضترب	اضطرب		
ضرّ	اضتُرّ	اضطُرّ		
صلى	اصتلى	اصطلى		
طرد	اطترد	اطْطَرد	اطّرد	
زهر	ازتهر	ازدهر		
زجر	ازتجر	ازدجر		
ذكَر	اذْتكر	اذْدكر	ادْدَكر	ادّكر

ومن الإبدال الصرفي **الإعلال** وهو: تغيير حرف العلة (الواو ، أو الياء، أو الألف) والهمـــزة، مثل:

سماو ⟵ سماء

بايِع ⟵ بائع

قاوِل ⟵ قائل

صوَم ⟵ صام

بيَع ⟵ باع

اوتفق ⟵ اِتتفق ⟵ اتّفق

الإبدال اللغوي: هو جعل حرف مكان آخر لغير ضرورة لفظية، مثل:

لِثام و لِفام.

أرمد و أربد.

مرَث الخبز ومرده.

شثن الأصابع (غليظ) و شثل الأصابع.

الأيْم (الحية) والأين.

موت ذُؤاف وذُعاف

الظأْب (سلف الرجل) والظأْم.

عَجْب الذنَب (عصعصه) وعَجْم الذنب.

الحُثالة والحُفالة.

الثُّوم والفوم.

الإبدال اللغوي القياسي:

قال البطليوسي: مِنْ هذا الباب ما يَنْقاس: وهو كلُّ سينٍ وقعت بعدها عينٌ أو غينٌ أو خاءٌ أوقافٌ أو طاءٌ جاز قلبُها صاداً.

وشرطُ هذا الباب أن تكون السينُ متقدَّمةً على هذه الحروف لا متأخرةً بعدها، وأن تكونَ هذه الحروفُ مُقارِبةً لها لا متباعدة عنها، وأن تكون السين هي الأصل، فإن كانت الصاد هي الأصل لم يَجُزْ قلبُها سيناً لأن الأضْعفَ يُقْلَب إلى الأقوى ولا يُقْلَب الأقوى إلى الأضْعَف وإنما قلبوها صاداً مع هذه الحروف لأنها حروفٌ مُسْتَعلية والسينُ حرف مُتَسَفِّل فثقُل عليهم الاستعلاء بعد التَّسفل لما فيه من الكُلْفة فإذا تقدّم حرفُ الاستعلاء لم يُكْرَه وقوعُ السين بعدَه لأنه كالانْحِدار من العلوّ وذلك خفيفٌ لا كُلْفةَ فيه.

ومن أمثلته:

القُعاس والقُعاص: داء يأخذُ في الصّدر.

السُّقع والصُّقع: النَّاحِية من الأرض.

الأسْقع والأصْقَع: طائر كالعصفور.

خطيب مِسْقَع ومِصْقَع: بليغ.

دليلٌ مِسْدَع ومِصْدَع: حاذق.

الرُّسْغ والرُّصْغ: مُنْتَهى الكفّ عند المفصل.

سِماخ وصِماخ: ثقْب الأذُن.

الخِرْسَة والخِرْصَة : ما تُطْعمَه النُّفساء.

السراط والصراط.

السوط والصوط.

الاختلاف حول الإبدال: اختلف العلماء حول ما يدخل في دائرة الإبدال وما يخرج عنها، ويمكن تمييز ثلاثة آراء رئيسة في هذا الباب:

رأي المتوسعين: يرون أنّ الإبدال قد يقع بين كل حرف وآخر من حروف اللغة، سواء كانت متقاربة المخارج أو كانت متباعدتها. وممن قال بهذا أبو الطيب اللغوي الذي عدّ من الإبدال الذاب والذان "العيب" برغم تباعد مخرجي النون والباء. ومن هؤلاء الكرملي، الذي قال إن الإبدال يتسع في جميع حروف اللغة، ومنهم أبو الحسن بن الصائغ الذي يقول: قلما نجد حرفا من حروف اللغة إلا وقد جاء فيه الإبدال ولو نادراً.

رأي المضيقين: وهم الذين وضعوا شروطا لتحقق الإبدال، ومن هؤلاء ابن جني الذي اشترط (١) تقارب المخارج؛ لذا أخرج منه الذاب والذان، (٢) اتحاد اللغة؛ لذا أخرج منه اللثام واللفام لاختلاف اللغات، (٣) ألا يكونا أصلين؛ لذا أخرج منه (رجل تُدْرأ): "ذو قوة على الدفع" و(رجل تُدْره): "ذو عز"؛ لأنهما –على حدّ زعمه– أصلان متميزان.

رأي المتوسطين: يمثلهم ابن سيده الذي اشترط فقط تقارب المخرجين.

الاشتقاق الإبدالي

هناك من اللغويين من رأى في الإبدال وتقارب مخارج حروف الكلمة ومعانيها نوعا من الاشتقاق، وسماه بعضهم بالاشتقاق الكبير أو الأكبر، وبما أن تقليب الحروف يُدْعى مرة بالاشتقاق الأكبر ومرة بالكبير فيحسن أن نسمي هذا الإبدال الاشتقاق الإبدالي. ومن كلامهم عنه يمكن تعريفه بأنه: ردّ الكلمات إلى أصل واحد إذا تدانت معانيها وتقاربت حروفها في المخارج أو في الصفات . وقد أورد ابن جني في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني أمثلة كثيرة تصلح له، ويمكن تمييز ثلاثة أنواع منه بحسب عدد الحروف المتقاربة في المخرج أو في الصفة:

١) مقاربة في حرف:

جرف "قشر وجه الأرض" وجلف "قشر"؛ هنا تقاربت (ر) و (ل) لأنهما حرفان ذلقيان.

العَلْب: "الأثر والعَلْم: "الشقّ في الشفة العليا،" وهما متقاربان في المعنى؛ و (ل) و (م) حرفان شفويان.

الغَرب: "الدلو العظيمة" والغرف "أخذ الماء بإناء"؛ و (ب) حرف شفوي و (ف) حرف شفوي أسناني.

هديل وهدير: أصوات؛ و (ل) و (ر) حرفان ذلقيان.

جبل "اجتمع وغلظ" وجبن :"استمسك وتجمع"؛ و (ل) و (ن) متقاربان لأنهما ذلقيان.

٢) مقاربة في حرفين:

(س ح ل) و (ص هـــ ل) أصوات؛ و (س) و (ص): الأول غير مطبق والثاني مطبق، و(ح) و (هـــ) حرفان حلقيان.

سحل وزحر أصوات؛ و(س) و (ص): الأول غير مطبق والثاني مطبق؛ و (ل) و (ر) ذلقيان.

جلف وجرم يفيدان معنى "القشر"، و (ل) و (ر) ذلقيان؛ و (ف) و (م) متقاربان في المخارج؛ لأن الأول شفوي أسناني، والثاني شفوي أنفي.

٣) مقاربة في ثلاثة أحرف:

زأر وسعل أصوات؛ (ز) و (س) حرفا صفير؛ و (أ) و (ع) حلقيان؛ و (ر) و (ل) ذلقيان.

زأر و صهل (ز) و (س) حرفا صفير؛ و (أ) و (هـــ) حلقيان؛ و (ر) و (ل) ذلقيان.

غدر و ختل تدلان على " الفعل في خفاء"؛ و (غ) و (خ) حلقيان؛ و (د) و (ت) أسنانيان لِثويان؛ و (ر) و (ل) ذلقيان.

النحت

النحت لغة: انشر الخشب والقشر.

النحت اصطلاحا: اقتطاع كلمة من كلمات أو من عبارة

النحت من كلمات مثل أخذ عبشمي من (عبد شمس)، ونحت كلمة من عبارة مثل أخذ جعلف من (جعلت فداك).

اختلاف مفاهيم النحت

هناك مفاهيم متعددة للنحت لأن بعض علماء اللغة يرون في بعض الكلمات نحتا وبعضهم لا يرى ذلك.

المفهوم التقليدي للنحت، وهو مفهوم شائع عند جمهور اللغويين الذين يقرون جميعا بأن هذه الكلمات منحوتة من عبارات، وقد ذكر ذلك الخليل وسيبويه واللغويين من بعدهم، ومن هذه الكلمات:

بسمل < بسم الله

حوقل < لا حول ولا قوة إلا بالله

طلبق < أطال الله بقاءك

جعلف جعفل < جُعلت فداك

حمدل < الحمد لله

عبشمي < عبد شمس

عبدري < عبد الدار

مفاهيم غير تقليدية للنحت

(١) مفهوم ابن فارس: مع اعتراف ابن فارس بوجود النحت في الكلمات السابقة إلا أنه زاد على ذلك ألفاظا لم يعدها العلماء من قبله من النحت. قال في الصاحبي: "مذهبنا فِي أنّ الأشياء الزائدة عَلَى ثلاثة أحرف أكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد "ضِبَطْرٌ" [ضبط وضبر] وَفِي "الصِّلِّدْم" إنه من "الصَّلد" و "الصَّدْم". وقد عدّ في المقاييس من هذا الصنف كلمات كثيرة، منها:

صهصلق "المرأة الصخابة" < صهل+صلق

ضِبطر " الرجل القوي" < ضبط+ضبر

جلمود "الصخرة الصلبة" < جلد+جمد

صِلْدم " الحافر الصلب" < صلد+صدم

والذين يعارضون ابن فارس في رأيه يقولون: إن هذه الأمثلة ليست من باب النحت وإنما نتجت عن زيادة حرف على الثلاثي، فضبطر في الواقع هي ضبط زيد في آخرها الراء، وجلمود زيد فيها بعد اللام الميم.

(٢) **مفهوم جورجي زيدان:** جاء جورجي زيدان بمفهوم جديد للنحت ليبيّن كيفية تطور الكلمات الثلاثية من الثنائية، فادعى أن قطف منحوتة من الكلمتين الثنائيتين: قط+لف ، وأن قمش منحونة من الكلمتين الثنائيتين: قم+قش. والكلمات التي لم يستطع بيان النحت فيها قال: إنها نشأت بزيادة حرف اعتباطا، مثل: (ســـ)ـــكن، (لـــ)ـــهب، قـــ(ر)ص، قطـــ(ع).

(٣) **مفهوم مرمرجي الدومنكي:** في سبيل محاولته لتفسير ظاهرة الأضداد في العربية في ضوء نظريته الثنائية قال إن الضد نشأ من نحت كلمتين ثنائيتين تفيدان معنيين متضادين لينشأ من ذلك كلمة واحدة تفيد معنيين متضادين، ومن الأمثلة التي ذكرها في هذا السياق:

سبد "أطال شعره"، و "حلق شعره" يزعم أن سبد منحوتة من سب "قطع" ومن سدى "طال".

سجد: قال بعض اللغويين تعني "انحنى ووضع جبهته على الأرض" وتعني أيضا "انتصب" ويزعم الدومنكي أنها منحوتة من سجا "رمى وألقى" ومن سد "علا"

(٤) **مفهوم بعض علماء الساميات:** بعض هؤلاء يفترض أن بعض صيغ التصريفات في اللغات الساميات وصلت إلى صورتها الحاضرة عن طريق النحت:

إما من الفعل والضمائر في نحو:

أكتُب < أنا+كتَب

نكتُب < نحن+كتَب

تكتُب < أنت+كتَب

أو من كلمات وأدوات، في نحو:

ليس < لا+أيس "لا أكون"

ليت < لا+أيت

عند < عن+يد "قريب من يديه"

لكن < لا + كان

أنواع النحت

ميز عبد القادر المغربي النحت إلى الأنواع التالية:

النحت الفعلي، وهو أن تنحت من الجملة فعلا يعبر عن مضمونها، مثل:

جعفل "جعلت فداك"

طلبق "أطال الله بقاءك"

بسمل "بسم الله"

حوقل "لا حول ولا قوة إلا بالله"

حيعل "حيّ على الصلاة"

حمدل "الحمد لله"

حسبل "حسبي الله"

النحت النسبي، وهو أن تنحت من اسمين صيغة نسب، مثل:

شفعنفي "شافعي حنفي"

عبشمي "عبد شمس"

عبدري "عبد الدار"

عبدلي "عبدالله"

درعمي "دار العلوم"

بلعنبر "بنو العنبر"

عبقسي "عبد القيس"

النحت الاسمي، وهو أن تنحت من كلمتين اسما واحدا، مثل:

جلمود "صخرة" من جلد+جمد

حبْقُر "البَرَد" من حب+قُر "الحب البارد"

شَقَحْطب "كبش ذو قرنين" من شق+حطب

النحت الوصفي، وهو أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل على صفة مثل:

ضِبَطْر "القوي" ضبط+ضبر

صَهْصَلِق "المرأة الصخابة" < صهل+صلق

بُحْتُر "القصير" < بتر+حتر

جَلْعد "الصلب الشديد" < جلد+جعد

موقف العلماء من النحت

اختلف المحدثون حول توسيع دائرة النحت للتغلب على ترجمة الاصطلاحات والكلمات التي تتطلبها المجالات العلمية والمستجدات في الحقول الاقتصادية والصناعية والاجتماعية، وأصناف العلماء بحسب موقفهم من توسيع دائرة النحت:

(أ) **رافضون**: هؤلاء يرون أن النحت ظاهرة قائمة على ما سمع عن العرب، ويرفضون جعله قياسيا لأنه لا يناسب جرس العربية وقوالبها، ومن هؤلاء:

إنستاس الكرملي، الذي يقول إن العربية لغة اشتقاقية قادرة على تلبية كل المتطلبات اللغوية من الأسماء والاصطلاحات، لذا لا نجد علماء العصر العباسي وما بعده يعتمدون عليه في اصطلاحاتهم، ولكن العرب لا تنحت إلا الألفاظ التي يتكرر ورودها على ألسنتهم.

مصطفى جواد، وكان من أشد الرافضين لاعتبار النحت ظاهرة قياسية. والنحت في رأيه من خصائص اللغات الهندية الأوروبية وليس من سمات العربية، وتوسيع ابن لفارس لدائرته كان بسبب تأثير أصله الفارسي.

(ب) **متحمسون** يرون أن هناك حاجة ملحة لنقل المصطلحات العلمية من اللغات الأوروبية التي تمتلك الآن زمام العلوم والمخترعات، ويرون أن كثيرا من هذه المصطلحات موجودة على شكل منحوتات في لغاتها، ومهما توسعنا في الاشتقاق لن نستطيع سد النقص في هذا المجال. ومن الذين تحمسوا إلى استغلال ظاهرة النحت وطالب بتوسيعه والاعتراف بقياسيته:

ساطع الحصري الذي يقول إن العلماء يعتقدون أن النحت أسهم إسهاما عظيما في تكوين اللغة وهو مصدر معظم الأفعال الرباعية والخماسية.، والاشتقاق وحده غير قادر على تلبية حاجاتنا إلى المصطلحات لأنه محدود بأوزان وقوالب معينة.

إسماعيل مظهر الذي يقول إن كل اللغات الحية تدل على أنها لغات اشتقاقية في الأصل وقد لجأ أهلها إلى النحت ليتمكنوا من تسمية أشياء كثيرة، والعربية لا تختلف عن ذلك.

(جـ) **معتدلون**: يرون أن العربية لغة غنية بما يقدمه الاشتقاق لها من إمكانيات تتواءم مع طبيعتها وجرسها وقوالبها، ولكن قد يكون هناك اصطلاحات علمية يصعب وجود مقابل لها يؤدي معناها العلمي الدقيق، لذا يمكن في هذه الحالة الاستعانة بالنحت في أضيق نطاق مع توفر الشروط التالية:

١- ألا يكون اللفظ المنحوت نابي الجرس عن سليقة العرب.

٢- أن يكون على وزن من الأوزان العربية.

٣- أن يؤدي حاجة اللغة من إفراد وتثنية ونسب.

ويمكن عد مجمع اللغة العربية من هذه الفئة لأن قراره الذي صدر في هذا الشأن يشير إلى أنه يجوز أن ينحت من كلمتين أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة، على أن يراعى ما أمكن استخدام الأصلي من الحروف دون الزوائد وأن يكون المنحوت موافقا للأوزان العربية.

الاشتراك البوليسيمي (تعدد المعنى) Polysemy

تعريف الاشتراك البوليسيمي: الاشتراك البوليسيمي هو دلالة كلمة واحدة على عدد من المعاني المختلفة التي تربطها علاقة دلالية بمعنى مركزي.

ولفظ بوليسيمي مكون من poly "متعدد" و semy "معنى." ووجود علاقة رابطة بين المعاني يمكن التمثيل له بلفظ (عين) التي تفيد معاني "عضو الإبصار" "البئر،" "فتحة في الباب،" و"ثقب في القربة،" و"نقرة في الركبة،" و"السيّد،" و"الذهب،" "والجاسوس." نجد المعنى المركزي الأولي هو "عضو الإبصار" والعلاقة بينه وبين: البئر علاقة مشابهة، و"فتحة الباب" و"القب في القربة" و"نقرة في الركبة" علاقة مشابهة حسية؛ وعلاقة العين "عضو الإبصار" بالسيّد علاقة مشابهة معنوية لأن العين أفضل الحواس والسيد أفضل قومه، وكذلك العلاقة بن "عضو الإبصار" والذهب علاقة مشابهة معنوية لن العين أكرم الحواس والذهب أنفس المعادن.

أمثلة أخرى للاشتراك البوليسيمي:

قرن:

وقَرْنُ الفَلاةِ: رَأسُها.

قَرْنَ الكَلِإ" أي أنْفَه،

قرن الأكمة: رأسها.

قرن الجبل: أعلاه،

القرن، أيضا: البكرة. والجمع: أقرن، وقرون.

قرن الشمس: أولها عند الطلوع. وقيل: أول شعاعها، وقيل: ناحيتها.

وهو قرنه: أي لدته.

القرن: الجبيل المتفرد. وقيل: هو قطعة تنفرد من الجبل. وقيل: هو الجبل الصغير.

والقرن: غطاء الهودج

سن

السن: واحد الأسنان

وسِن من ثُوْمٍ: حَبةٌ من رَأْسِ ثُوْمٍ.

وسِن الإنسانِ؛ لِدَتُه.

وأسنان المشط: أطرافه المدببة.

وسِنُّ القلم : موضع البَرْيِ منه
وسِنُّ المِنْجَل : شُعْبَة تحزيزه

أذن

من الحواسّ
و **أُذُنُ** القلبِ أحد جوانبه
وأذن السهمِ قذذه
وأذن النَّصْلِ حرفه
وأُذُنُ كلّ شيء مَقْبِضُه كأُذُنِ الكوز والدَّلْو.
أُذُنُ العَرفج والثُّمام : ما يُخَدُّ منه فيَنْدُرُ إذا أَخْوَصَ ، وذلك لكونه على شكل الأُذُنِ .
وآذانُ الكيزانِ : عُراها ، واحدَتها أُذُنٌ .
وأُذُن النَّعْل : ما أَطافَ منها بالقِبال
أُذُنُ الحمارِ : نبتٌ له ورق عَرْضُه مثل الشِّبْر.
لسان: جارحة الكلام
لسانُ النارِ شُعْلَتُها وقد تَلَسَّنَ الجَمْرُ
اللِّسانُ من النِّعالِ ما فيها طُولٌ ولَطافَةٌ كهَيْئَةِ اللِّسانِ.
لسان الميزان: عود من المعدن يثبت عموديا على أوسط العاتق، ويتحرَّك معه، ويُستدل منه على توازن الكفَّتين
لسان الحذاءِ: الهَنَةُ الناتئة تحت فتحته فوق ظهر القدم.-
لسان الثَّورِ: عشبة سنويّة طبيّة من فصيلة الحِمْحِميات، ورقها يشبه لسان الثور،

جبهة

وجَبْهةُ القوم : سيدُهم ،
والجَبْهةُ من الناس : الجماعةُ
جَبْهَةِ القِتَالِ": وَاجِهَة القِتَالِ، خَطُّ الحَرْبِ الفَاصِلُ بَيْنَ الْمُتَحَارِبِين.

عنق

العُنْق والعُنُق الجِيد والرقبة أو هو من الحيوان ما بين الرأس والبدن

والعُنُق أيضًا الرؤَّساءُ والجماعة من الناس

عنق القارورة، هو الجزء الأعلى منها والضيق

عُنُق الدهر. أي قديم الدهر

وجاءَ القوم عُنُقاً عُنُقاً أَي طوائف

عُنُقٌ من النار: أَي قطعة تخرج من النار

إذا خرج من النهر ماء فجرى فقد خرج عُنُق

وله عُنُق في الخير أَي سابقة

الهِلالُ:

هلال السماء

وهلال الصيد: وهو شبيه بالهلال يُعَرْقَب به حمارُ الوحش

وهلال النَّعل: وهو الذُّؤَابة والهلال: القِطْعة من الغبار،

وهلال الإصبع: المطيف بالظفر

والهلال: قطعةُ رَحَى،

والهلالُ: باقي الماء في الحوض

والهلال: الجملُ الذي قد أكثر الضِّراب حتى هَزل.

الاختلاف حول وجوده في اللغة

آراء القدماء

جاء في المزهر أن الناسُ اختلفوا فيه، فالأكثرون على أنه مُمْكِنُ الوقوع لجواز أن يقعَ إما من وَاضِعَيْن بأنْ يضعَ أحدُهما لفظاً لمعنًى ثم يضعُه الآخرُ لمعنًى آخر ويَشْتَهِر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين وهذا على أنَّ اللغات غيرُ توقيفية وإما مِنْ واضعٍ واحدٍ لغرض الإبهام على السامع حيثُ يكونُ التصريح سبباً للمَفْسدة كما رُوي عن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه – وقد سأله

رجلٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم وقت ذهابِهما إلى الغار: مَنْ هَذا قال: هذا رجلٌ يَهْديني السبيلَ.

والأكثرون أيضاً على أنه وَاقعٌ لنَقْلِ أهلِ اللغة ذلك في كثير من الألفاظ ومن الناس من أوْجب وقوعَه – قال: لأن المعانيَ غيرَ متناهيةٍ والألفاظ متناهية فإذا وُزِّع لزِم الاشتراك.

وذهب بعضهُم إلى أن الاشتراك أغْلبُ – قال: لأن الحروفَ بأسْرِها مشتركة بشهادة النُّحَاة والأفعال الماضية مشتركةٌ بين الخبَر والدُّعاء والمضارع كذلك، وهو أيضاً مشْتَرَكٌ بين الحال والاستقبال والأسماء كثيرٌ فيها الاشتراك فإذا ضَمَمْناها إلى قسمي الحروف والأفعال كان الاشتراكُ أغلبَ. ورُدَّ بأن أغلبَ الألفاظ الأسماء والاشتراكُ فيها قليلٌ بالاستقراء.

وممن أنكر الاشتراك اللفظي ابن درستويه: قال في شرح الفصيح – وقد ذكر لفظة وَجَد واختلاف معانيها–: "هذه اللفظة من أقْوى حُجَج من يزعمُ أن من كلام العرب ما يتَّفِقُ لفظه ويختلف معناه لأن سيبويه ذكره في أول كتابه وجعله من الأصول المتقدمة فظنَّ من لم يتأمل المعاني و لم يتحقق الحقائق أن هذا لفظٌ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة وإنما هذه المعاني كلُّها شيءٌ واحد وهو إصابةُ الشيء خيراً كان أو شراً .

آراء المحدثين:

اللغويون المحدثون مجمعون على أن الاشتراك واقع فبي اللغة، وهو من خصائص اللغة الإنسانية، يقول (ستيفن أولمان) "إن الآثار المترتبة على تعدد المعنى للكلمة الواحدة بالنسبة للثروة اللفظية للغة آثار بعيدة المدى. من ذلك مثلاً أن وجود كلمة لكل شيء من الأشياء من شأنه أن يثقل على الذاكرة الإنسانية. ويجعل حالها أهلها أسوأ من حال البدائي الذي قد يستعمل كلمات خاصة للدلالة على المعاني الجزئية مثل"غسَل نفسه" و "غسَل شخصاً آخر" و « غسل رأس شخص آخر" و "غسل وجهه" و « غسل وجه شخص آخر" الى آخره، بينما لا يوجد لديه كلمة واحدة للدلالة على المعنى العام وهو "الغسيل" . إن اللغة في استطاعتها أن تعبر عن الفكر المتعددة بواسطة تلك الطريقة الحصيفة القادرة، التي تتمثل في تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة. وبفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نوعاً من المرونة والطواعية، فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة."

أسباب الاشتراك البوليسيمي

(أ) **النقل**، وهو إطلاق لفظ قديم على شيء حديث عن قصد، فالحياة متطورة من الناحية العلمية والمادية فلا بد له من وضع أسماء تواكب هذه التغيرات. وعادة اللغة لاتخترع كلمات من العدم بل تستخدم كلمات قديمة تطلقها على أشياء أخرى تحتاج إلى أسماء. ويظهر ذلك في الألفاظ الشرعية والفقهية مثل: حد، حج، زكاة، صيام.

وفي اصطلاحات الفنون، مثل: بيت شعر، وزن، وتد، سبب. وأجزاء الآلات مثل: رجل القوس "أسفلها"، يد القوس "أعلاها"، كبد القوس "وسطها."

أسماء النجوم والبروج: الميزان، الدلو، الأسد، الثور.

(ب) **اختلاف مجال الاستعمال** اللفظه تستخدم في مجالات متعددة فمثلاً (عملية) لها أكثر من معنى لتعدد المجالات المستخدمة فيها، ففي الطب تطلق على الجراحة، وفي العسكرية تطلق على أعمال عسكرية خاصة، ولها معنى خاص في الرياضيات وكذلك في التجارة فهناك معنى عام ولكن الخاص يختلف من مجال على آخر؛ كذلك مثل: زراعة النبات، وزراعة الأعضاء، وزراعة البكتيريا لتكثيرها، وزراعة الأسنان، وزراعة الشعر.

(جـ) **الاستعمال الاستعاري**: وهو نقل تلقائي قائم على المشابهة من شيء إلى آخر. انظر فوق معاني: هلال، لسان، أذن، سن، وقرن. وايضا مثل:

العنق "ما بين الرقبة والبدن"، و"القطعة من الأرض،" و"جزء خارج من البحر،" و"قطعة من الخيل"

اليد: "الجارحة المعروفة" و"العروة"، واليد "المقبض"، ويد الزمان "مده"، ويد الريح "سلطانها" ويد الطائر "جناحه."

السن: "واحد الأسنان،" وسِن من ثُوْمٍ "حَبةٌ منه،" وأسنان المشط "أطرافه المدببة،" وسِنُّ القلم"موضع البَرْيِ منه،" وسِنُّ المِنْجَل "شُعْبَة تحزيزه."

حبل: "المفتول على طاقين أو أكثر من ليفٍ أو نحوه،" و"وريد في جسم الإنسان،" و"العهد."

الجِرْو: "صغير الكلاب والسباع،" ما استدار من ثمار "القثاء والحنظل" ونحو ذلك.

(د) **المجاز المرسل**: إطلاق لفظ لمعنى على معنى آخر لعلاقة غير المشابهة:

الجزئية: العين: العضو "الجاسوس،" و الرقبة العضو و"المملوك،" نَسَمة: الهواء الخارج من الأنف و"الفرد."

الآلية: اللسان: العضو و"اللغة،" واليد: الجارحة و"النعمة." واليد "الجارحة" و"الإحسان؛" الإصبع "عضو" و"الأثر الحسن."

المسَبَّبية: الرزق: الطعام و"المطر،" والرزق "الطعام" و"الرحمة."

السببية: الرجز: العذاب و"الصنم."

المجاورة: الحقو: الخصر "الحزام." الراويةك الدابة و"القربة."

(هـ) **اختلاف اللهجات**: العربية الفصحى لغة مؤلفة ألفاظها من عدد من اللهجات التي كانت العرب تستعملها في بيئاتها الخاصة، وقد أصبحت بعض مفردات هذه اللهجات جزءا من المعجم العربي؛ لذا نجد ظاهرة الاشتراك اللفظي تظهر في عدد كبير من المفردات لهذا السبب، مثل:

الطرف: الكريم من الخيل عند جميع القبائل وعند هذيل الطرف: الكريم من الرجال .

الوذيلة: القطعة من الفضة، وعند هذيل تطلق على المرآة.

الألفت: الأعسر، عند تميم، والأحمق عند قيس.

الأماني: ما يتمناه الإنسان، وعند قريش "الأباطيل."

العنت: المشقة، وعند هذيل "الإثم."

الصلد: الصلب، وعند هذيل "النقي."

السفاهة: الجهل، وعند حِمْير "الجنون."

الغرام: العشق والغَرَام "البلاء" بلغة حمير.

الحرج: الضيق، وعند قريش "الشك."

سرابيل: قمصان عند تميم، و"دروع" عند كنانة.

الأُنثيان: الخصيتان عند سائر العرب، و"الأذنان" عن أهل اليمن.

الاشتراك الهومونيمي (الاشتراك الجناسي) Homonymy

تعريف الاشتراك الهومونيمي: وهو وجود كلمتين أو أكثر متشابهتين في الصورة اللفظية ومختلفتين في الأصل وفي المعاني، ولا وجود لعلاقة دلالية واضحة بين معانيهما. مثل: جَدّ: "أبو أحد الوالدين،" والجد "الحظ،" والجدّ "وجه الأرض،" والجَدُّ "القطع" والجدّ "البئر الجَيِّدَةُ الموضع من الكلأ." والمتأمل في هذه المعاني لا يجد علاقة دلالية واضحة بين هذه المعاني يمكن للمتكلم العادي أن يلحظها؛ فهي كلمات مختلفة تشابهت في ألفاظها وليست كلمة واحدة لها معان مختلفة كالعين مثلاً من الاشتراك البوليسيمي؛ لذا يجب تكرار كتابة هذه الكلمات مع كل معنى من معانيها. أما عين فلا تُكرر لأنها كلمة واحدة لها معانٍ مختلفة، وهذا هو الفرق بين الاشتراك البوليسيمي والاشتراك الهومونيمي.

أمثلة أخرى للاشتراك الهومونيمي:

الدّم الذي في العروق، والدّم "الهرّ."

الصبيّ الصغير، والصبيّ "حدّ السيف."

القِطّ "الهرّ" والقط "الصّكّ."

النّعامة "طائر" معروف، والنعامة "الطريق."

السوس "حشرة صغيرة،" والسوس "الخلق والطبع."

الصّقْر "طائر،" والصّقر "الحرّ."

الصّدى "طائر،" والصّدى "الصوت."

النّجم "العشب" والنّجم "جرم مضيء" في السماء.

أسباب الاشتراك الهومونيمي

(أ) **أسباب قديمة:** الاشتراك البوليسيمي قد يحدث صدفة بأن تتشابه كلمتان منذ زمن بعيد مما يفقدنا معرفة سبب الاشتراك، مثل:

غرْب "الجهة" و"الغرب"الدلو العظيمة."

الجفْنة "إناء للطعام،" والجفنة "أصل الكرْم."

الخُطْبة "كلام مؤلف،" والخُطْبة "لون يميل إلى السواد."

العصْر "الدهر" والعصْر "الضغط."

عوى "لوى" وعوى "صاح الئب."

الجدّ "أبو أحد الوالدين" والجدّ "الحظ."

(ب) **التغيير الصوتي**: يحدث عندما يكون هناك كلمتان مختلفتان في الأصل واللفظ فيحدث تغيير في حروف أحدهما أو كليهما فتتشابها، مثل: سايِل (اسم فاعل من سال [الماء]) تغيرت إلى سائل فاشبهت سائل (اسم فاعل من سأل).

الكلمة قبل التغيير	الكلمة بعد التغيير	المعنى	الكلمة الثانية	المعنى
سايل >	**سائل**	اسم فاعل من سال	**سائل**	اسم فاعل من سأل
الأيْم >	**الأيْن**	ثعبان	**الأيْن**	التعب
همَش >	**همس**	هشم	**همَس**	تكلم بصوت ضعيف
شبعة >	**سبعة**	٧	**سبعة**	أنثى السبْع كالذئب
شيّط >	**شوّط**	احترق	**شوّط**	طال سفره
الحزْن >	**الحزْم**	المكان الغليظ	**الحزْم**	الشدّ
جذم >	**جذب**	قطع	**جذب**	جرّ

(جـ) **الاقتراض اللغوي**: قد يحدث الاشتراك الهومونيمي بسبب اقتراض كلمة أعجمية فتشبه في لفظها كلمة عربية أصيلة، مثل: المرْج "المرعى" في الفارسية التي أشبهت الكلمة العربية الأصيلة المرْج "الخلط." ومن ذلك أيضاً:

الكلمة الأعجمية	معناها	الأصل الأعجمي	الكلمة العربية الأصيلة	معناها
الحُب	الجرة الضخمة	فارسية	**الحُبّ**	الوداد
خال	شامة	فارسية	**خال**	أخو الأم
خَوّار	ضعيف	فارسية	**خَوّار**	كثير الخُوار
السّلوى	طائر السُّمانى	عبرية	**السّلوى**	العسل
السُنبل	نبات طيب الرائحة	فارسية	**السُّنبل**	حب القمح
السّير	قطعة من جلد	يونانية؟	**السّيْر**	المشي
الطاقة	الكُوّة، النافذة	فارسية	**الطاقة**	القوّة
فطر	خلق	حبشية	**فطر**	شقّ

الأضداد

هي نوع من الاشتراك البوليسيمي أو الهومونيمي ولكن تتميز عنهما بأنّ معنيي كل لفظ من الأضداد متضادان بينما معاني كل لفظ من المشترك مختلفان.

تعريف الضد:

هو كل جذر أو كلمة ذات اشتراك بوليسيمي أو كل كلمتين ذواتي اشتراك هومونيمي تفيد معنيين متضادين أو شبه متضادين.

الاختلاف حول الأضداد

الاختلاف حول وجودها

اختلف العلماء حول وجود ظاهرة الأضداد في اللغة، فهناك فئة قليلة من العلماء أنكرت وجود هذه الألفاظ، ولكن جمهرة علماء العربية يقرون بوجودها في المعجم العربي.

رأي المنكرين

ابن درستوية: وكان من أشهرهم إنكارا لوجود الأضداد، وحجته في ذلك قوله بأن اللغة توقيف من الله عز وجل والاشتراك اللفظي والأضداد يؤديان إلى الإبـــهام والغموض، وهذا محال في حكمة الله، وذلك أن يجعل في اللغة ما يفسد وظيفتها الأصلية وهي الإفهام والإيضاح. وحاول ابن دُرُسْتَوَيْه، عندما وُوجه بعدد من أمثلة الأضداد، أن يفسر سبب الضدية ليصل إلى أنه لا يوجد أضداد من أصل الوضع. إذن هو لا ينفي الأضداد مطلقاً ولكن ينفي وجودها من أصل الوضع.

النقد: تفسير الأضداد لا يعنى بالضرورة نفيها، ولكن يثبت أن التضاد قد وُجد في مرحلة ما من تاريخ اللغة، وشواهدها موجودة فعلا في الشعر والقرآن الكريم والحديث الشريف وغير ذلك من نصوص العربية. إذن تفسير الأضداد قد ينفي وجودها في (أصل الوضع) ولكنه لا يقوم دليلا على عدم وجودها في مرحلة ما من تاريخ اللغة، لأنها كما سنعرف تتولد عن تغييرات صوتية أو دلالية.

تاج الدين الإرموي : أنكر الأضداد معتمدا على حجة عقلية بسيطة، هي أن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد. وكلامه هذا يتعلق أيضا بالوضع الأول، وهذا الأمر لا نعرف عنه شيئا وهو يجرنا إلى تاريخ موغل في القدم يتجاوز بنا تاريخ الساميات إلى ما قبلها.

الجواليقي :- أنكر الأضداد مدعيا أن المحققين من علماء العربية ينكرون الأضداد. ونحن نسأل من عساهم المحققون الذين يقصدهم؟ الثابت لدينا أن علماء اللغة الكبار كالأصمعي وأبي حاتم السجستاني والتوّزي وقطرب وابن الأنباري وأبي الطيب اللغوي وغيرهم كثير من المشهود لهم بالثقة وكثرة الرواية أثبتوا وجود التضاد في اللغة.

عبد الفتاح بدوي : أفصح عن رأيه في تعليقه على مقالة دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها المستشرق فيل Weil الذي أشار إلى أن هناك من تزيّد في ذكر عدد الأضداد، ويقصد بعض اللغويين الذين ادخلوا فيها كلمات مثل: مثل الكأس للشراب وللإناء ومثل أن التي للإثبات والنفي وغيرها. هذا رأي فيل، لكن عبد الفتاح بدوي تحامل على اللغويين العرب واتهمهم بالخلط والتزيد وتحداهم أن يأتوا ولو بكلمة واحدة من الأضداد. لكن ما هي الأسس التي اعتمد عليها في رفضه للأضداد؟ لقد ردد حجج ابن درستويه، وقام بتفسير بعض الأضداد واستنادا إلى تفسيرها ادعى أنها لم تكن أصلا تفيد معان متضادة. إذن هو يثبت وجودها ولكنه يعتقد أن ضديتها لم تكن من الأصل. ابن درستويه وبدوي وقعا في فهم خاطئ للغة لأنهما يعتقدان أن هناك من يقول بأن كلمات الأضداد موضوعة من الأصل متضادة المعاني، وهذا ما لا يقره علم اللغة وعلم الدلالة الحديث لأن الثابت أن تطور وتغير اللغة دلالياً أو صوتياً قد يؤديان إلى وجود هذا النوع من المفردات .

رأي المثبتين

عامة علماء العربية من لغويين وأصوليين وغيرهم يثبتون وجود الأضداد:

١- فمنهم من أثبتها عن طريق النقل (حجج نقلية) فذكر ألفاظها وبعض شواهدها اللغوية في مؤلفاتهم. من هؤلاء قطرب وأبو عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي وابن السكيت والتوزي وأبو حاتم السجستاني وابن دريد والجوهري وابن الأنباري وأبو الطيب اللغوي.

٢- ومنهم من أثبتها عن طريق الحجج العقلية معتمدين على ما ورد في الكتاب لسيبويه عندما قال: اعلم أن من كلامهم [أي العرب]: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين.

* فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب.

* واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق.

* واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضّالة. وأشباه هذا كثير.

كيف احتج اللغويون العرب على وجود الأضداد اعتمادا على ما سبق؟

قطرب: احتج بشكل غير واضح بذكر تقسم سيبويه دون أن يحاول أن يُدخل الأضداد في ذلك التقسيم وكأنه يوحي لنا بأن الأضداد نوع من الاشتراك اللفظي الذي يقره كثير من اللغويين.

ابن الأنباري : في مقدمة كتابه الأضداد يذكر تقسيم سيبويه للكلام ويقول إنّ مجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على معنيين مختلفين وإن لم تكن متضادة.

أبو علي الفارسي، نقل عنه ابن سيده في المخصص في أول باب الأضداد كلام سيبويه الذي قام بشرحه لينـــزله على ألفاظ الأضداد: "وأما القسم الثّالثّ وهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي أن لا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً له ولكنه من لُغات تَداخلت أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنىً ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل، قال: وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التّي حكاها أهل اللغة وأن تكون لفظةٌ واحدةٌ لشيء وضِدُّه والقول في هذا أنه لا يخلو في إنكار ذلك ودفعه إياه من حجة من جهة السّماع أو القياس ولا يجوز أن تقوم له حجةٌ تُثبت له دلالةً من جهة السّماع بل الحجة من هذه الجهة عليه لأن أهل اللغة كأبي زيد وغيره وأبي عبيدة والأصمعي ومن بعدهم قد حكوا ذلك وصُنِّفت فيه الكتب وذكروه في كتبهم مجتمعاً ومفترقاً فالحجة من هذه الجهة عليه لا له، فإن قال الحجةُ تقوم من الجهة الأخرى وهي أن الضّد بخلاف ضده فإذا استعملت لفظة واحدة لهما جميعاً و لم يكسب كل واحد من الضّدين لفظاً يتميز من هذه ويتخلص به من خلافه أَشْكَلَ وأَلْبَس فعُلِم الضّدُّ شكلاً والشّكلُ ضداً والخلافُ وِفاقاً وهذه نهاية الإلباس وغاية الفساد، قيل له: هل يجوز عندك أن تجيء لفظتان في اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين؟ فلا يخلو في ذلك أن يجوّزه أو يمنعه، فإن منعه وردّه صار إلى ردِّ ما يعلم وجوده وقبولُ العلماء له ومنع ما ثبت جوازه وشُبِّهت عليه الأَلفاظ فإنها أكثر من أن تُحصى وتُحصَر نحو وَجَدْتُ الذي يراد به العلم والوِجْدان والغَضَب وجَلَسْت الذي هو خلاف قمتُ وجَلَسْتُ الذي هو بمعنى أتيتُ نَجْداً ونَجْدٌ يقال لها جَلْس، فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه، وإذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه جاز وقوعها للشيء وضدّه إذا الضّدُّ ضَرْبٌ من الخلاف وإن لم يكن كل خلاف ضدًّا.

الاختلاف حول عدد ألفاظ الأضداد

الذين اثبتوا الأضداد اختلفوا في عددها وفي حجم مفرداتها في المعجم العربي، فمنهم من توسع وتسامح في قبول ألفاظ كثيرة في قائمة الأضداد، ومنهم من رفض أكثرها ولم يقبل منها إلا كلمات قليلة، وآخرون توسطوا بين الأمرين.

المضيقون : منهم الثعالبي في فقه اللغة الذي ذكر في باب صغير خاص بالأضداد ما لا يتعدى سبع كلمات. ولا نظن أنه أراد الحصر وإنما جاء بها من باب الانتقاء والتمثيل.

المستشرق الألماني جيس: كتب رسالة قصيرة عن الأضداد نشرت سنة ١٨٩٤هـ، وقد حدد بحثه بفترة العصر الجاهلي، وحاول ألاّ يقبل من الأضداد إلا ما وجد له شواهد في هذا الشعر، ولم يُدخل الشواهد القرآنية ونصوص الحديث الشريف والشعر الإسلامي والأموي. وزعم أنه لم يثبت لديه من ألفاظ الأضداد إلا ٢٢ لفظة. والذي يظهر لنا أنّ قلة هذا العدد، لا شك، عائدة إلى اقتصاره على فترة محددة وقلة المصادر التي اعتمد عليها.

إبراهيم أنيس : لقد تبع جيس على غير هدى، وبدون أن يذكر شروطه وظروفه. ولم يذكر ما هي الألفاظ التي قبلها وما تلك التي رفضها ولماذا رفضها؟ فإن كان هناك عذر لجيس، لأن العدد القليل الذي خرج به كان بسبب تحديد العصر وقلة المصادر، فلا نجد عذرا لإبراهيم أنيس لأنه مقلد سار بدون دليل. وقد سار وراءه محمد آل ياسين الذي كتب كتاباً عن الأضداد أضاعه في ذكر مخطوطات كتب الأضداد ومعلوماتها البيبليوغرافية وقبل فيه بدون مناقشة العدد الذي ذكره غيس ورددده إبراهيم أنيس.

رأي المتوسعين: لا ننكر أن مجموعة من اللغويين العرب افتتنوا بهذا البحث وتزيدوا في ذكر عدد الأضداد فأدخلوا فيها ما ليس منها، ومنهم قطرب وابن الأنباري وأبو الطيب اللغوي والصاغاني والفيروزآبادي الذين عدوا منها ما يربو على ٣٠٠ كلمة.

رأي المتوسطين : هناك فئة من العلماء لم تتوسع أو تتسامح عدد الأضداد، من هؤلاء الأصمعي الذي عدّ منها ١٠٣ كلمات، وابن السكيت الذي ذكر منها ٩٢ لفظه، وأبو حاتم السجستاني الذي ذكر ١٧٠ لفظة. وإلى هذه الفئة يمكننا أن نضم ابن سيده الذي أورد في فصل الأضداد في المخصص ٩٢ لفظا، وكذلك السيوطي الذي ذكر منها في المزهر ١٢٣ لفظا.

الاختلاف حول أسباب الأضداد في اللغة

النظرية الشعوبية: ذكر ابن الأنباري "ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب ــ يقصد الشعوبية ــ أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم، بسبب قلة حكمة العرب وضعف بيانهم واختلاط محاوراتهم." نحن نقول إن العلماء اليوم يعترفون بان هذا الضرب من الألفاظ موجود في كثير من اللغات، منها الفارسية والمصرية القديمة واللاتينية والعبرية والآرمية. ولكن أصحاب هذه اللغات لم يتنبهوا إلى هذه الظاهرة إلا بعد أن اشتهر أمرها في العربية التي سجل علماؤها كل صغيرة وكبيرة تتعلق بمعجمها ونظامها.

رأي كارل أيبل: لم يكن من علماء العربية أو الساميات وإنما كان مهتما بالفرعونية القديمة. وقد وجد فيها كلمات تدل على المعنى وضده. فالكلمة التي تدل على النور تفيد أيضا الظلام والتي تدل على القوة تدل أيضا على الضعف. وقد حاول أن يجد لذلك تفسير لأنه، في نظره، لا يُعقل أن تكون لغة المصريين الذين بنوا الأهرام ووضعوا أول لبنات الثقافة الإنسانية بهذا الشكل من الضعف والتخبط. التفسير الذي ارتضاه هو أن المصرية القديمة تحمل في ثناياها بقية من الفكر الإنساني القديم، وهذا الفكر قائم على الرؤيا والمعرفة النسبية التي تميّز الأشياء بأضدادها، فالنور لا يُعرف إلا بالظلام، والقوة لا تُميز إلا بالضعف، وهذه الألفاظ في رأيه لا تدل على معانٍ متضادة وإنما تدل على تلك العلاقة النسبية. وقد أشار أيبل إلى وجود هذه الظاهرة في العربية والعبرية واللاتينية.

رأي غورديس : انتقد غورديس رأي أيبل في سبب الأضداد مبينا أن رأيه قائم على مقدمات عقلية بحته ولا يترك مجالاً للأحوال النفسية والاجتماعية التي ربما فيها الجواب الشافي لهذه الظاهرة. ويقول: إنه لا يمكننا ،ن نتخيل أن الإنسان استخدم الكلمات بدون معنى محدد وأولي.

وقد تناول تحليله قائمة الأضداد التي ذكرها المستشرق نولدكه في مقالة له عن الأضداد في اللغات السامية. وقال إننا إذا استبعدنا الألفاظ التي سبب الضدية فيها الصرف أو التغييرات الصوتية، يتضح لنا أن أحد المعاني المتضادة في كل كلمة سلبيي والآخر إيجابي مما يدل على أن الإيجابي هو المعنى الأصلي والسلبي ثانوي عارض، وذلك بسبب استخدام اللفظ للتعبير عن المعاني السلبية تطيرا من ذكر ألفاظها وتفاؤلا بأضدادها الإيجابية.

الإشكال في رأي غورديس وبعض العرب مثل عبد الفتاح بدوي وابن درستويه أنهم يرتكبون خطأ منهجياً وهو أنهم متى عرفوا سبب الضدية حذفوا الكلمة من الأضداد. لذا يجب أن يكون

هناك مقياس معين وهو أن تقبل الكلمة التي تدل على معنيين متضادين سواء كان التضاد دلالياً أو اشتقاقياً أو صرفياً، لأن أهمية الأضداد نابعة من إشكالية الغموض في معانيها لا في أصلها وسببها.

مرمرجي الدومنيكي : هو أحد القائلين بالنظرية الثنائية في أصل الجذور العربية والسامية، وقد فسر سبب الضدية في ضوء هذه النظرية، فقال: إن سبب التضاد هو نحت لفظين ثنائيين كانا يدلان على معنيين متضادين فأصبحا كلمة واحدة تدل على معنيين متضادين. الدومنيكي لم يطبق هذه النظرية إلا على عدد محدود من الكلمات، من بينها كلمات لا يمكن اعتبارها من الأضداد لأن البحث المتعمق في معانيها لا يثبت معانيها المتضادة. من ذلك مثلا: الأبض، التي تعني القبض وكذلك زعموا أنها تعني السكون. وقد فسر الضدية المزعومة بأن هذه الكلمة منحوتة من لفظين ثنائيين هما: أب وتعني نهض وأسرع، وبض أو بـــ(ـــا)ض (الألف الممدودة زائدة في نظره) وتعني أقام واستراح. ولكن الدومنيكي ارتكب خطأ كبيراً هو أنه لم يحرر معاني هذه اللفظة منذ البداية واكتفى بما ذكره أصحاب الأضداد ومن تبعهم من المعجميين. الواقع أن هذه الكلمة لا تعني السكون إطلاقا والذين نسبوا هذا المعنى إليها تمحلوا دلالتها على الزمن لتدل على السكون، فمعنى السكون استنتاج من دلالة الزمن (لأنه في أذهانهم يوحي بالسكون) لا معنى لغوياً. وكذلك في تحليله لكلمة (سجد): خضع وانتحى، وهناك معنى آخر توهمه بعضهم هو "انتصب" وهذا خطأ سببه تفسير بيت فيه وصف لبعير سانية:

لولا الزمام اقتحم الأجالدا بالغرب أو دق النعام الساجدا

ففهموا أن الساجد تعني المنتصبة. ولكن هذا التفسير غير صحيح، فسجد تعني في الأصل سكن، ومنه جاء الخضوع والخشوع، ولذلك أطلق على السجود المعروف لأنه أوضح حالات الخضوع والسكينة. ولذلك نقول الجبال الساجدة أي التي لا تتحرك، وعين ساجدة: فاترة، والنعام في البيت السابق عنى به عمودي السانية، والساجد المائل والخافض رأسه، أو قصد به الثابت الساكن الذي لا يتحرك. ولكن الدومينيكي أخطأ فلم يحرر معنى هذه اللفظة وحاول أن يفسر الضدية المُتَوَهّمة بأنها كانت بسبب نحت كلمتين ثنائيتين متضادتي المعنى هما: سد (لأن الذي يسد لا بد أن يكون مرتفعاً وعالياً) وسج التي معناها رمى وألقى ومنها سجا أي سكن ورمى وهي معان فيها هبوط.

أحمد عبد التواب : كتب كتاباً غير دقيق فسر فيه جميع الأضداد على أنها جاءت بسبب التغيير الصوتي. أي أنه كان هناك كلمتان مختلفتان في اللفظ ومتضادتان في المعنى، ثم حدث تغيير صوتي في إحداهما فأشبهت الأخرى في لفظها، فأصبح عندنا لفظتان متشابهتان في اللفظ ومتضادتان في

المعنى. وقد عمم هذه النظرية على جميع ألفاظ الأضداد. من ذلك مثلا: أبر: أصلح وأفسد وآذى. بحسب رأيه يقول: إن أبر تعني أصلح، وهناك كلمة أخرى هي أبن، التي تعني في الأصل عاب، تغيرت فيها النون إلى راء فأشبهت أبر في لفظها:

	أبر: أصلح
أبن ←	أبر: عاب > آذى

نحن نقول: إنّ هذا كله لا حقيقة له لأن تغير النون إلى راء قليل جداً في العربية، والعكس هو تغير اللام إلى راء. والتفسير الدلالي أقرب إلى الصحة، فأبر تعني أصلح وأما معنى آذى فقد جاء من الإبرة، وهي أداة مدببة تخز وتجرح وهي موجودة عند حشرات مؤذية كالعقارب والزنابير والنحل.

وقد أخطأ عبد التواب أيضا عندما فسر سبب ضدية أبض فادعى أن معنى أبض التي قيل إنها تعني سكن كان أصلها قبض فتغيرت القاف إلى ضاد فأشبهت في لفظها أبض الأصلية التي تعني تحرك.

	أبض: تحرك
قبض: "أمسك" ←	أبض: "أمسك" > "سكن"

وقد بينا من قبل أن معنى السكون متوهم ومستنتج ولا وجود له، ومن يراجع لسان العرب لن يجد شاهداً يدل على ذلك وإنما هو استنتاج من لازم معنى الدهر.

ومن أمثلة أخطائه تفسيره لسبب الضدية في قولهم: "غمدت البئر" إذا كثر ماؤها و"غمدت البئر" إذا قل ماؤها. عبد التواب يقول غمد غطى وكثر هي الأصل، وأما غمد بمعنى قل فقد جاءت من خمد "همد، وسكن"، وقد تغير الخاء إلى غين. ونحن نرد عليه قائلين إن همد لا يعطي معنى "قل الماء" وكلا المعنيين يمكن ملاحظتهما في غمد التي تعني "غطى." فهناك اعتباران مختلفان عند استخدام هذا التعبير لحال البئر. فعند قولنا: غمدت البئر، أي كثر ماؤها، نحن نعني أن الماء قد غطى قعرها وطيها وكثر، وعندما نقول: غمدت البئر، أي قل ماؤها، فنحن نعني أن التراب والحمأة قد غطت قعرها وماءها.

غمدت البئر : غطى الماء طيها وحجارتها (كثر ماؤها)

غمدت البئر: غطى التراب قعرها وماءها (قلّ ماؤها).

الأسباب الحقيقية للأضداد

في الواقع ليس هناك سبب واحد للأضداد بل إن هناك أسباب متعددة ومختلفة، منها الصوتي ومنها الاشتقاقي ومنها الدلالي. ويمكن تصنيفها كالتالي:

(أ) **أضداد بسبب التغيير الصوتي**: ونعني به أن يكون هناك في الأصل كلمتان مختلفتان في اللفظ ومتضادتان في المعنى، ثم حدث تغيير صوتي في إحداهما مما جعلها تشبه الأخرى في اللفظ. وهذا السبب كان وراء تضاد عدد من أسماء الفاعل والمفعول من الفعل الأجوف على صيغة افتعل والفعل المضعف على صيغة فاعَل. لاحظ أسماء الفاعلين والمفعولين في الجدول التالي:

أسماء الفاعلين والمفعولين من **افتعل** الأجوف العين

فعل	افتعل	افتعل بعد التغيير	اسم الفاعل قبل التغيير	اسم الفاعل بعد التغيير	اسم المفعول قبل التغيير	اسم المفعول بعد التغيير
غيب	اغتيب	اغتاب	مُغتَيِب	مُغتاب	مُغْتيَب	مُغتاب
غيل	اغْتَيَل	اغتال	مُغتَيِل	مُغتال	مُغْتيَل	مُغتال
خير	اختير	اْختَيَر	مُختَيِر	مُختار	مُختيَر	مُختار

أسماء الفاعلين والمفعولين من المضعف على صيغة **فاعَل**

فعل	فاعَل	افتعل بعد التغيير	اسم الفاعل قبل التغيير	اسم الفاعل بعد التغيير	اسم المفعول قبل التغيير	اسم المفعول بعد التغيير
حدد	حادد	حادّ	مُحادِد	مُحَادّ	مُحادَد	مُحادّ
شقق	شاقَق	شاقّ	مُشاقِق	مُشَاقّ	مُشاقَق	مُشاقّ
ضدد	ضادَد	ضادّ	مُضادِد	مُضَادّ	مُضادَد	مُضادّ
ضرر	ضارر	ضارّ	مُضارِر	مُضارّ	مُضارَر	مُضارّ

لاحظ أن صيغ اسم الفاعل والمفعول قد أصبحت متشابهة بعد التغيير الصوتي.

(ب) **أضداد بسبب الاشتقاق**: بعض الصيغ الاشتقاقية قد تؤدي معان متضاده أو شبه متضادة، منها على سبيل المثال ما يلي:

جدا: أعطى، وسأل.

تصدّق: أعطى الصدقة، وسأل الصدقة.

أفزع: أخاف، وأزال الفزع.

أطلبتُ فلانا: أعطيته ما يطلب، وأطلبته: عرّضته لأن يطلب.

شعب: كسر أو شعر الإناء أو العصا، وشعب: أصلحهما، أي: أزال الشعب منهما وأصلحهما.

المتظلِّم: كثير الظلم، والمتظلِّم الشاكي من الظلم.

سميع: الذي يسمَع، والذي يُسمِع غيره.

القنيص: الصائد، والقنيص: المَصيد

الصارخ: المستغيث، والمُغيث.

(جـــ) أضداد لأسباب دلالية

١- **أضداد بسبب اختلاف النظرة إلى الشيء:** قد يطلق اللفظ على أشياء أو معان تختلف النظرة إليها بحسب الأحوال والظروف، مما يُولد نوعا من الضدية في معاني اللفظ، من ذلك مثلا:

لمق: كتب في لغة بني عقيل، ولمق: محا في سائر لغة قيس. وتفسير هذا أنّ لمق تفيد معنى الضربة السريعة الخفيفة، وهذه الحركة هي حركة الكتابة السريعة وكذلك المحو السريع.

لطع: كتب، ولطع: محا. أصل معنى لطع: ضرب ولحس، ومعنى الكتابة جاء من الضربة السريعة، وكذلك جاء منها معنى المحو لأنه ضربة بمسحة سريعة.

عزّر: تعني نصر وأيد وقد وردت في القرآن في هذا المعنى في قوله تعالى: (وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا) وقوله تعالى: (فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، وعزّر تعني "عاقب". والمعنى الأصلي لعزّر هو "الربط والشدّ، ومنه جاء معنى التقوية التي أعطتنا معنى النصر والتأييد، وأما معنى العقاب فقد جاء من الشد أيضا الذي أعطى معنى القسوة ومن ثَمّ العقاب. وقد يكون جاء معنى "العقاب" من "الشد" الذي أعطى معنى "المنع" لأن العقاب يمنع من ارتكاب ما يوجبه.

البين: الفراق، وشواهده كثيرة منها قول عنترة:

ظعن الذين فراقَهم أتوقّعُ وجرى ببينِهم الغراب الأبقعُ

أي بفراقهم. والبين: الوصل في قوله تعالى: (لقد تقطّع بينُكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) في قراءةٍ برفع (بينُكم)، أي وصلكم، وقوله تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذاتَ بينِكم) أي ما يجمعكـــم

من القرابة والمودّة. والبين هو الشيء بين شيئين، وهذا ربما يُنظر إليه كأنه يفصل ويفرق بينـــهما، وربما ينظر إليه وكأنه يصل بينهما.

٢- أضداد بسبب التفاؤل والتطيّر:

بصير: قوي البصر، وقالوا بصير للأعشى على سبيل التفاؤل، ومن ذلك تكنيتهم للشاعر الجاهلي الأعشى بأبي بصير.

السليم: الذي لم يصبه سوء، والسليم: الملدوغ، تطيرا من اللفظ وتفاؤلا بالسلامة، وقد يطلق على الجريح الذي أشفى على الهلاك، أنشد ابن الأَعرابي:

يَشْكُو إِذا شُدَّ له حِزامُهُ شَكْوَى سَلِيمٍ ذَرِبَتْ كِلامُهُ

أي: جراحه. وفي الحديث: أَنهم مَرُّوا بماء فيه سَلِيمٌ فقالوا هَلْ فيكم مِنْ راقٍ؟

المفازة: الفوز، والمفازة الصحراء المهلكة.

اليسرى: الأمر السهل، واليسرى: اليد الشمال، وهي اليد العسرى التي يصعب العمل بها. ويبدو أنهم تشاءموا من لفظ شأمل المأخوذ من الشؤم، وقد سميت في القرآن مشأمة في قوله تعالى: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيمنْةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ).

الحُباب: الحُبّ، والحُبابُ: الحَيَّةُ، قال أَبو عبيد: وإِنما قيل الحُبابُ اسم شَيْطانٍ، لأَنَّ الحَيَّةَ يُقال لها شَيْطانٌ، ولذلك غُيِّرَ إلى اسم حُبابٍ، كراهية للشيطان.

البيضاء: ماكان لونها أبيض، وعن الصغاني البيضاء : الداهية.

الشوهاء: القبيحة، والشوهاء الفتاة أو الفرس الجميلة، ويقال: إنها سميت بذلك لدرء العين عنها.

٣- أضداد بسبب التخصيص في لغتين أو عصرين مختلفين:

المأتم: الاجتماع في حزن أو فرح. أصل أتم: اجتمع.

الجون: الأسود، والجون: الأبيض. جون كلمة فارسية معناها اللون، وقد اقترض العرب هذه الكلمة وتخصص معناها عند بعضهم باللون الأسود وعند البعض الآخر باللون الأبيض.

شرى: باع، وشرى: اشترى. وأصل معناها المقايضة أي تبادل السلع بدون نقد. وبعد كثرة تداول النقد تخصص معناها عند في بعض لغات العرب بالبيع ومنه قوله تعالى في شأن يوسف عليه السلام (فباعوه بثمنٍ بخس)، واختص في لغات أخرى "بقبض السلعة ودفع ثمنها نقدا".

باع: أيضا تعني: اشترى، وتعني أيضا: "دفع الشيء وقبض ثمنه" (أي باعه). وهذا كله تخصيص في بيئات مختلفة لمعنى عام هو المقايضة.

سام: سأل طلب شراء السلعة، وكذلك عرضها للبيع.

الطب: العلاج، والطب: السحر، وأصل معنى الطب العمل الحاذق.

الطرب: الفرح، والطرب: الحزن، والمعنى الأولي العام هو خفة تصيب المرء.

٤- أضداد بسبب تغيّر المعنى وانحرافه:

عفا: نما وزاد، وعفا: درس وانطمس. المعنى الأصلي لعفا هو "نمو الشعر والنبات" وهذا المعنى أعطى معنى التغطية والستر، وهذا بدوره نتج عنه معنى الدروس والانطماس.

الغرِض: الضجر، وفي الحديث: "كان إذا مَشَى عُرِفَ في مَشْيِه أَنه غير **غَرِضٍ**"

والغَرَضُ: الضَّجَر والملالُ؛ وأَنشد ابن بري للحُمام بن الدُّهَيْقين:

لَـــمَّا رأَتْ خَوْلَةُ مِني غَرَضا قامَتْ قِـــياماً رَيِّثاً لِتَنْهَضا

والغرِض المشتاق، قال الشاعر:

فَمَنْ يكُ لَمْ يَغْرَضْ فإِنِّي وناقَتِي بِحَجْرٍ، إِلى أَهلِ الحِمَى **غَرِضانِ**

تَـــحِنُّ فَتُبْدي ما بها من صَبابةٍ، وأُخْفِي الذي لوْلا الأَسى لقَضَانِي

وقال ابن هرمة في الشوق أيضا:

إِنِّي غَرِضْتُ إِلى تَناصُفِ وجْهِها غَرَضَ المُحِبِّ إِلى الحَبِيبِ الغائِبِ

إنه ليبدو أن هذه المعاني قد جاءت من الغرض وهو الهدف وما يشتاق إليه الإنسان، ومن هذا جاء معنى الضجر لأن الإنسان يصيبه الضجر بسبب حاله الراهنة ولشوقه لشيء آخر.

ألفاظ الأضداد

قائمة مختارة من كتاب المزهر في علوم اللغة للسيوطي

النَّاهِل في كلام العرب: العَطْشان والناهل: الذي قد شرِب حتى رَوي

السُّدْفة في لغة تميم: الظّلمة والسُّدْفة في لغةِ قيس: الضوء. وبعضهم يجعلُ السُّدْفة اختلاطُ الضوء والظلمة معاً. كوقتِ ما بين صلاة الفجر إلى الإسفار.

وقال أبو زيد: طلَعتَ على القوم أطلع طلوعاً إذا غبتَ عنهم حتى لا يروك وطلَعت عليهم إذا أقبلتَ عليهم حتى يَرَوْك.

وقال: لَمَقت الشيء أَلْمُقهُ لَمْقاً إذا كتبتُه في لغة بني عقيل وسائر قيس يقولون: لَمَقته: مَحَوْته.

وقال: اجْلَعَبَّ الرجل إذا اضطجع ساقطاً واجلعَبَّت الإبل إذا مضت حادَّةً وبعت الشيء إذا بعتَه من غيرك.

بعتَه: اشتريتَه وبعته

شريت: بعت. واشتريت

شعَبْت الشيء أصلحته وشَعَبته شَقَقتُهُ.

الهاجد: المصلّي بالليل والهاجد النائم.

وقال الأصمعي

الجَوْن: الأسود والجَوْنُ: الأبيض

المشِيح: الجادّ والمشيح: الحذر

الجَلَل: الشيء الصغير والجلَلَ: العظيم

الصَّارِخ: المستغيث. الصارخ: المُغِيث.

الإهْماد: السرعة في السير والإهماد: الإقامة.

وقال أبو عبيد: التِّلاع: مجاري الماء من أعالي الوادي والتِّلاع: ما انهبط من الأرض.

الصّريم: الصّبح. والصَّريم: الليل.

عطاء بَثرٌ: كثير. والبَثْر: القليل أيضاَ.

الظّنُّ: يقينٌ وشكّ.

الرَّهْوة: الارتفاع والرَّهوة: الانحدار.

وراء تكون خَلْف وقدّام وكذلك دون فيهما.

فرّع الرجل في الجبل: صَعِد. وفرّع: انحدر.

رَتَوْتُ الشيء: شددته وأرْخيته.

وقال الكسائي: أفَدْتُ المال: أعطيتهُ غيري وأفَدْتُه: استفَدْتُه

وقال الأحمر: أشْكَيْتُ الرجلَ: أتيتُ إليه ما يَشكُوني فيه وأشْكَيْتُه إذا رجَعْتُ له من شكايته إلى ما يحبّ.

أطْلَبْتُ الرجل: أعطيتُه ما طلَب. وأطْلبتُه: ألْجأتُه إلى أن يطلب.

أسررْتُ الشيءَ: أخفيتُه وأعلنته. وبه فُسِّر قوله تعالى: " وَأَسَرُّواْ النَّدَامةَ لَّما رَأواْ العَذَابَ ": أي أظهروها.

الخشِيبُ: السيف الذي لم يحكم عمله والخَشِيب: الصقيل وتهَيَّبتُ الشيء وتهَيَّبني سواء.

الأقْراء: الحيض. والأقراء: الأطهار.

الخناذِيذ: الخِصْيان والفُحُولة.

أخفَيْت الشيء: أظْهرته وكتمتهُ.

شِمْتُ السيف: أغمدتُه وسَلَلْتُه.

وقال ابن دريد في الجمهرة: البَكّ: التفريق والبَكّ: الازدحام كأنه من الأضْدَاد.

الغابِرُ الماضي والغابِر: الباقي هكذا قال بعضُ أهل اللغة وكأنه عندهم من الأضداد.

البَسْلُ: الحرام والبَسْل أيضاً: الحلال وهذا الحرف من الأضداد.

وفي أمالي القالي: الجَادي: السائل والمعطي وهو من الأضداد.

وفي ديوان الأدب للفارابي: المُغَلَّب: المغلوب كثيراً والمُغلَّب: المَرْمِيُّ بالغلبة وهذا الحرف من الأضداد.

ناء: نَهضَ في ثقل وناءَ: سقط من الأضداد.

وَلّى: إذا أقبل: وولَّى إذا أدْبر من الأضداد.

البَيْن: القطع والبَيْنُ: الوَصْل من الأضداد.

أكْرى: زادَ وأكْرى: نقص من الأضداد.

المعبَّد: المُذلَّل والمعبَّد: المُكْرَم من الأضداد.

الضَّمْدُ: رَطْب الشجر ويابسه

الضَّمْد: صَالِحة الغنم وطَالِحتُها

النَّبَل: الكبار والنَبَل: الصغار من الأضداد.

الصريخُ: صوتُ المُسْتَصْرخ والصريخُ: المغيث وهو من الأضداد.

الشفّ: الربح والشف أيضاً: النقصان من الأضداد.

غَرْض القربة ملؤها وكذا غَرْضُ الحَوْض والغَرْضُ أيضاً: النُّقْصان عن المَلْءِ من الأضْداد.

أفْزَعْتُ القوم: أنزلت بهم فَزَعاً وأفزعتهم: إذا نزلوا إليك فأغَثْتَهم من الأضداد.

وفي القاموس: الحَوْزُ: السَّوْقُ اللَّيِّن والشديد ضدّ.

وفي الصحاح: الرَّسُّ: الإصلاح بين الناس والإفساد أيضاً من الأضداد.

وعَسْعَس الليلُ: إذا أقبلَ بظلامه وعَسْعَس أدْبر وتقول:

أمرست الحبل إذا أعَدْتُه إلى مَجْرَاهُ وأمْرَسْتُه إذا أنْشَبْتُه بين البَكَرَةِ والقَعْوِ وهو من الأضداد.

الأشْراط: الأرْذال والأشراط أيضاً: الأشرافُ من الأضداد.

الغابِر: الباقي: والغابرُ: الماضي وهو من الأضداد.

المُكلِّل: الجادُّ يقال: حمل فكلَّلَ أي مضى قدماً و لم يُحْجِم وقد يكون كلَّلَ بمعنى جَبُن يقال: حمل فما كلَّلَ أي فما كذب وما جَبُن كأنه من الأضداد.

نصَّلْت السهم تَنْصيلاً نزعتُ نَصْله وكذلك إذا ركبتَ عليه النَّصْل وهو من الأضداد.

المُنَّةُ: القوّة والضَّعف.

الساجد: المُنْحَني والمنتصب.

المتظلِّم: الذي يشكو ظُلامته والظالم.

الزُّبْية: المكان المرتفع وحفرةُ الأسد.

عَفَا: دَرَس وكَثُر.

قسط: جارَ وعدَل.

المسجور: المملوء والفارغ.

رَجَوْت: أمَّلت وخِفت.

القَنِيصُ: الصائد والصيد والغَريم: المُطالِب والمُطالَب.

الشَّرَى: رُذال المال وأيضاً خِياره من الأضْداد جمع شراة.

وفي المجمل لابن فارس: المجانيق: الإبل الضمّر ويقال: هي السّمان وإنها من الأضداد.

حبلٌ منين من الأضداد يقال ذلك للقويِّ والضعيف.

وفي الأفْعال لابن القوطية: أقْنَع: رفع رأسه وأقْنعَ أيضاً: نكس رأسه من الأضداد.

أسِد: دَهِش وصار كالأسد ضد.

أفِد: أسرع وأبْطأ ضد.

غَمِدت الرَّكيَّة: كثُر ماؤُها وقلّ ضد.

قَعَد قامَ ضِدٌّ.

المَصْدُ: شدة البرد والحرّ ضد.

النَّكْدُ: الغزيرات اللبن من الإبل والتي لا لبَن لها ضد.

جَفا الباب: أغْلقه وفتحه ضد.

الحَوْشَبُ: الضامرُ والمنتفخ الجَنْبيْن ضد.

الطَّرَب: الفرح والحزن ضد.

الإعراب: الفُحْشُ وقبيحُ الكلام والدَّرْءُ عن القبيح ضد.

المأتم: الاجتماع في فرح أو حزن

خَفَقَ النّجمُ يَخفِق خُفوقاً: أضاء وتَلألأ، وخَفَق النّجم والقمر انْحَطَّا في المغرب[٢٧]

المَسْجور: المَمْلوء والفارغ، قال الله تعالى: "والبَحْرِ المَسْجور" أي المَلآن.

القَنيص: الصائد والصَّيْد.

الغَريم: المطلوب بالدّيْن، والغَريم: الطّالبُ دَيْنه.

وفرس شَوْهاء: حَسَنَة، والشوهاء القبيحة.

السَليم المعافى والسّليم الملدوغ.

المَوْلى: المُعتِق والمُعتَق.

[27] الألفاظ التالية مأخوذة من المخصص لابن سيده.

الترادف[٢٨]

الترادف لغة: التتابع.

الترادف اصطلاحا: دلالة عدد من الكلمات المختلفة على معنى واحد، مثل:

– الجود، والسخاء، والأريحية، والندى، والسماحة، والكرم، والبذل.

– رأيت الشيء، وأبصرته، وعاينته، وشاهدته.

– عام، سنة، حول.

– طبيعة فلان، وخلقه، وسجيته، وسليقته، ونقيبته.

– وجدت فلانا مسرورا، محبورا، فرِحاً، جذِلاً، بلجاً، مستبشراً.

– الحزن، الغم، الغمة، الأسى، والشجن، الترح الوجد، الكآبة، الجزع، الأسف، اللهفة، الحسرة، الجوى، الحرقة، واللوعة.

– خاف الرجل، وفزع، وخشي، ووجل، وفرق، ورهب، وارتاع، وارتعب، وانذعر.

– الرحمة، والرقة، والشفقة، والحُنو، والحنان، والعطف، والرأفة.

– فلان يشبه فلانا، ويشابهه، ويشاكله، ويشاكهه، ويضاهيه، ويماثله، ويضارعه، ويحاكيه، ويناظره.

– هفوة، وزلة، وسقطة، وعثرة، وكبوة.

الاختلاف حول وجود الترادف في اللغة

اختلف اللغويون قديما وحديثا حول حقيقة وجود الترادف في اللغة بين مثبت ومنكر.

المثبتون للترادف:

سيبويه: وهو من أشهر المثبتين لهذه الظاهرة. بيّن في باب (اللفظ للمعاني): "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك: وجدت عليه

[28] اعتمدنا على المراجع التالية: المزهر للسيوطي؛ الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس؛ الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري؛ الفروق اللغوية لمحمد الشايع؛ علم الدلالة لأحمد الكراعين؛ فقه اللغة للنادري؛ علم الدلالة لأحمد مختار عمر.

من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضّالة، وأشباه هذا كثير."[٢٩] فقوله: "اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق" ينصرف إلى الترادف.

الأصمعي: ألف فيه كتابا عنوانه: ما اتفق لفظه واختلف معناه. وكان يقول أحفظ للحجر سبعين اسما.

أبو الحسن الرماني الذي ألف كتاب: الألفاظ المترادفة.

ابن خالويه: الذي كان يفتخر بأنه جمع للأسد خمسمائة اسم وللحية مئتين، وأنه يحفظ للسيف خمسين اسما.

وحمزة بن حمزة الأصفهاني:الذي كان يقول إنه جمع من أسماء الدواهي ما يزيد على أربعمائة.

والفيروزآبادي الذي ألف كتابا في الترادف بعنوان: الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف.

والتهانوي الذي يقول: والحق وقوعه (أي الترادف) بدليل الاستقراء، نحو أسد وليث.

ومعظم المحدثين من اللغويين العرب يعترف بوقوع الترادف في اللغة، من هؤلاء:

علي الجارم الذي يقول: إن الترادف موجود ولا سبيل إلى إنكاره، ولكن لا يجوز المبالغة فيه بإدخال الصفات مرادفة للأسماء.

إبراهيم أنيس الذي يقول إنّ علماء اللغات يجمعون على إمكان وقوع الترادف في أي لغة من لغات البشر، والذين أنكروا الترادف من القدماء كانوا من الأدباء النقاد الذين يستشفون أمورا سحرية ويتخيلون في معانيها أشياء لا يراها غيرهم وفي هذا من المبالغة والمغالاة ما يأباه اللغوي الحديث في بحث الترادف.

حجج المثبتين: يحتج بعضهم لإثبات الترادف بما يلي:

(**١**) لو كان لكل لفظةٍ معنى غيرُ معنى الأخرى لما أمكنَ أن نعبِّر عن شيء بغير عبارته، وذلك أنا نقول في "لا ريب فيه": "لا شكَّ فيه" وأهل اللغة إذا أرادو أن يفسروا (اللب) قالوا هو "العقل." و(الجرح) هو "الكسْب،"فلو كان الريبُ غيرَ الشك والعقل غير اللب لكانت العبارةُ عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عُبِّرَ بهذا عن هذا عُلم أن المعنى واحد.

(٢) إنّ المتكلم يأتي بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيداً ومبالغةً كقوله: وهند أتى من دونها النَّأْي والبعد قالوا: فالنَّأْيُ هو البعد.

[29] الكتاب، سيبويه، ٢٤/١، بيروت١٩٩١.

(٣) الترادف لا يعني التشابه التام إنما أن يُقام لفظ مقام لفظٍ لمعانٍ متقاربة يجمعُها معنًى واحد كما يقال: أصلحَ الفاسد و لمّ الشّعث ورتَقَ الفَتْق وشَعَبَ الصَّدع.

(٤) وقال الطاهر ابن عاشور إذا أصبحت عدد من المفردات تدل على شيء واحد فهي من االترادف ولا يهمنا ما إذا كانت في الماضي تدل عليه أو على صفة فيه، مثل الحسام والهندي التي أصبحت الآن تدل على السيف ولا يلحظ معنى القطع أو الأصل الهندي فيها.

المنكرون للترادف: لقد أنكر الترادف فئة من العلماء قديما وحديثا من العرب ومن غيرهم:

ثعلب الذي كان يقول: لا يجوز أن يختلف اللفظ والمعنى واحد.

ابن درستويه: لا يكون فعَل وأفْعَل بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين، وإنما سمعو العرب تتكلم على طباعها و لم يعرف السامعون العلل والفروق فظنوا أن هذه الألفاظ بمعنى واحد فأخطؤوا في فهم ذلك، وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين.

ابن فارس: الذي يقول فِي هَذَا: إن الاسم واحد وهو "السيف" وَمَا بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى.

أبو علي الفارسي: الذي رد على ابن خالويه، عندما افتخر بأنه يحفظ للسيف خمسين اسما، قائلا لا أعرف له إلا اسما واحدا هو السيف وأما الباقي فصفات.

أبو هلال العسكري: إن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني في لغة واحدة يقتضي كل واحد منهما خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا كان الثاني فضلة لا يحتاج إليه. وقد ألف كتاب الفروق اللغوية لنقض فكرة الترادف وإبراز الاختلاف بين هذه الكلمات.

البيضاوي الذي جزم في المنهاج أن الترادفَ على خِلاف الأصْل والأصلُ هو التباينُ.

حجج المنكرين للترادف:

(١) يقول ثعلب: لا يجوز أن يختلف اللفظ والمعنى واحد لأنّ في كل لفظة زيادة معنى ليس في الأخرى، ففي ذهب معنى ليس في مضى. ويبين أبو هلال العسكري الفروق بين معاني الكلمات التي قيل فيها الترادف، فيقول:

– الفرق بين الحلم والرؤيا: كلاهما ما يراه الانسان في المنام لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير، والشئ الحسن، والحلم: ما يراه من الشر والشئ القبيح.

– الفرق بين الحماية والحفظ: أن الحماية تكون لما لا يمكن إحرازه وحصره مثل الأرض والبلد، تقول: هو يحمي البلد والأرض، والحفظ يكون لما يُحرز ويُحصر وتقول هو يحفظ دراهمه ومتاعه.

– الفرق بين الحمد والمدح: أن الحمد لا يكون إلا على إحسان، والمدح يكون بالفعل والصفة وذلك مثل أن يمدح الرجل باحسانه إلى غيره وأن يمدحه بحسن وجهه وطول قامته ولا يجوز أن يحمده على ذلك وإنما يحمده على إحسان يقع منه فقط.

– الفرق بين الخجل والحياء: الخجل مما كان والحياء مما يكون.

– الفرق بين الخشوع والتواضع: التواضع يعتبر بالاخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة. والخشوع: يقال باعتبار الجوارح.

– الفرق بين القسم والحلف: أن القسم أبلغ من الحلف.

– الفرق بين الغضب والسخط: أن الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير، والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير.

(٢) يقول أبو هلال العسكري: الشاهد على أن اختلاف الأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم يدل كالإشارة، فإذا أُشير إلى الشيء مرة واحدة فعُرف فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد.

يبدو أن الاختلاف عائد إلى معنى الترادف. هل يعني التشابه التام في كل الأحوال أم هل يعني التشابه النسبي الذي يمكن فيه أن تستعمل لفظة مكان أخرى. إذا كان الأول فالتشابه مستحيل بين كلمتين بل إن بعض علماء اللغة يستبعد أن تشبه الكلمة نفسها في موضعين مختلفين؛ أما إذا قبلنا بالتعريف الثاني فإننا لن نعدم عددا من الألفاظ التي يمكن أن تحل محل أخرى في سياقات معينة، فنعدها من الترادف.

أسباب الترادف

١– فقدان الوصفية: بعض الألفاظ كانت تدل في الماضي على أوصاف محددة لاعتبارات معينة غير أنه مع مرور الزمن تُوسع في استعمالها ففقدت الوصفية واقتربت من الاسمية واكتفي بالصفة عن الموصوف، وأصبح هذا الوصف اسما، فمثل:

– المُدام: كانت صفة للخمر تعني "الذي أُديم في الدن"وهي الآن تُطلق على أنها اسم من أسماء الخمر.

- السيف: له اسم واحد هو السيف، وله أكثر من خمسين صفة لكل صفة دلالتها المميزة كالمهند "مصنوع في الهند" ومثلة اليماني "مصنوع في اليمن" والمشرفي "معمول في مشرف." والحسام لحدته وسرعة قطعه.

٢- اختلاط اللهجات العربية: العربية لغة ذات لهجات متعددة تختلف في أسماء بعض الأشياء، فالشئ الواحد قد يسمى عند قبيلة بلفظ وعند أخرى بلفظ آخر، وبسبب اختلاط العرب في حروبهم ومعاشهم وأسواقهم فقد تطغى بعض الألفاظ على بعض، واشتهرت الكلمات التي تعتبر أسهل أو أفضل من غيرها فاجتمع للأنسان الواحد أكثر من لفظة للشئ الواحد، من ذلك مثلا:

- السكين يدعوها بذلك أهل مكة وغيرهم وعند بعض الأزد يسميها المدية.
- القمح لغة شامية، والحنطة لغة كوفية، وقيل البر لغة حجازية.
- الإناء من فخار عند أهل مكة يدعى بُرمة وعند أهل البصرة يسمى قدرا.
- البيت فو ق البيت يسمى عِلّية عند أهل مكة، وأهل البصرة يسمونه غرفة.
- الحقل "المكان الطيب يُزرع فيه" وهو الذي يسميه أهل العراق القَراح.
- المضاربة عند أهل الحجاز تسمى مقارضة.
- الجرين عند أهل نجد "المكان الذي يجفف فيه التمر والثمر" يسميه أهل المدينة المِربَد.
- المتقاضي المتجازي "من يستوفي الديون" يدعى في المدينة المتجازي.

٣- الاقترض من اللغات الأعجمية: اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأعجمية من فرس وروم وأحباش أدى إلى دخول عدد من الكلمات الأعجمية في العربية، بعضها كثر استعماله حتى غلب على نظيرة العربي، من ذلك:

أعجمي	عربي	أعجمي	عربي
النَّرجس	العَبْهر	الأُتْرُجّ	المُتْك
الرَّصاص	الصَّرَفان	التُّوت	الفِرصاد
الخِيار	القَثْد	الياسمين	السَّمْسَق
الهاون	المِنحاز	الميزاب	المِثْعب
المِسك	المشموم	اللُّوبياء	الدَّجَر

٤- المجاز: المجازات المنسية تعتبر سببا مهما من أسباب حدوث الترادف؛ لأنها تصبح مفردات أخرى بجانب المفردات الأصلية في حقبة من تاريخ اللغة، من ذلك:

– تسمية العسل بالماذية (تشبيها بالشراب السلس الممزوج) والسلاف (تشبيها بالخمر) والثواب (الثواب النحل وأطلق على العسل بتسمية الشيء باسم صانعه)، والصهباء (تشبيها بالخمر) والنحل"العسل" (سمي العسل نحلا باسم صانعه).

– تسمية اللغة لسانا لأن اللسان آلة اللغة.

– تسمية الجاسوس عينا لعلاقة الجزئية.

– تسمية الرقيق رقبة لعلاقة الجزئية.

٥– التساهل في الاستعمال : التساهل في استعمال الكلمة وعدم مراعاة دلالتها الصحيحة يؤدي إلى تداخلها مع بعض الألفاظ في حقلها الدلالي:

– المائدة: في الأصل لايقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام وإلا فهي خوان.

– الكأس: إذا كان فيها شراب وإلا فهي قدح.

– الكوز: إذا كان له عروة وإلا فهو كوب.

– الثرى إذا كان نديا وإلا فهو تراب.

٦– التغيير الصوتي : التغييرات الصوتية التي تحدث للكلمات تخلق منها صورا مختلفة تؤدي المعنى نفسه. وهذه التغييرات قد تكون بسبب:

(أ) إبدال حرف بحرف مثل: حثالة وحفالة؛ ثوم وفوم؛ هتنت السماء وهتلت، حلك الغراب وحنك الغراب.

(ب) قلب لغوي بتقديم حرف على آخر، مثل: صاعقة وصاقعة؛ عاث وثعا؛ طريق طَامِس وطَاسِم.